مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

الأستاذ الدكتور حسني سبح

أحد أساطين تعريب العلوم الطبية

١٣١٧ – ١٤٠٧هـ
١٩٠٠ – ١٩٨٦م

تأليف
الدكتور صادق فرعون

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الأستاذ الدكتور حسني سبح

أحد أساطين تعريب العلوم الطبية

مجمع اللغة العربية بدمشق

كل الحقوق
محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

الأستاذ الدكتور حسني سبح

أحد أساطين تعريب العلوم الطبية

إعداد

الدكتور صادق فرعون

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

الأستاذ الدكتور حسني سبح

١٣١٧ – ١٤٠٧ هـ

١٩٠٠ – ١٩٨٦ م

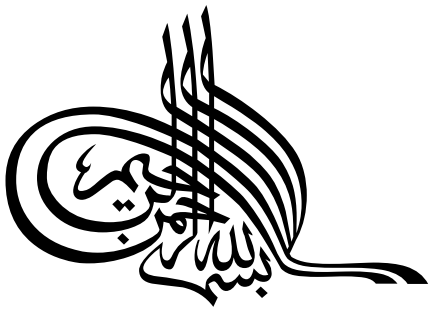
بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

مروان البواب

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نَبِيَّ بعده.

وبعد، فقد استَنَّ مجمعُ اللغة العربية بدمشق سُنةً حميدةً بنشره كُتبًا عن أعضاءِ المجمع المؤسِّسين والأوائل، تخليدًا لذكراهم، وتعريفًا بهم وبآثارهم، وعرفانًا بجهودهم المخلصةِ لرفعِ مكانةِ العربية والذبِّ عن حياضها. وأوكلَ المجمعُ تنفيذَ هذه المهمة إلى لجنةٍ كريمةٍ من أعضائِهِ تكوَّنت من الأساتذة الأجلاء: الدكتور عبد الله واثق شهيد، والدكتور مازن المبارك، والدكتور زهير البابا.

باشرتِ اللجنةُ أعمالَها في سنة ٢٠٠٧، وأصدَرَت في هذا السبيل ستةَ كتبٍ لستةٍ من أعضاء المجمع الأوائل: العلَّامة عبد القادر المبارك (في سنة ٢٠١١)، والأستاذ محمد سليم الجندي (في سنة ٢٠١١)، والأستاذ رشيد بقدونس (في سنة ٢٠١٢)، والشيخ أمين سويد (في قيد الطبع)، والأستاذ معروف الأرناؤوط (في قيد الطبع)، والأمير جعفر الحسني (في قيد الطبع). وها هي تُصْدر اليومَ كتابَها السابع عن عَلَمٍ من أعلام الطب، وأحد أساطين تعريب العلوم الطبية... معلِّم الأجيال، وصاحب المؤلَّفات الفائقة والتصانيف الرائقة... عن الأستاذ الدكتور حسني سبح رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته.

سيجد القارئُ الكريم في هذا الكتاب تعريفًا ضافيًا بالدكتور سبح: بعلمِهِ وعملِه، وأخلاقِهِ وسلوكِه، وجِدِّهِ واجتهادِه، وتعلُّمِهِ وتعليمِه، وكتبِهِ ومقالاتِه... سطَّرها أقرباؤه وزملاؤه وطلابُه؛ منها كلماتٌ أُلقيت في حفل تأبينه، ومنها مقالاتٌ نُشرت في المجلات والموسوعات، ومنها كلماتٌ أُعِدَّت لهذا الكتاب خِصِّيصى...

وقد لفتَ نظري في هذه الكلمات أن الأستاذ سبح كان أوَّلَ من ألقى محاضراتِهِ ودروسَهُ بالعربية المُبِينة في أولِ كليةٍ للطب تدرِّس علومَ الطب بالعربية في القرن العشرين، مع أنه تلقَّى علومَهُ الطبيةَ باللغةِ التركية.

ومن الكلماتِ التي وَقَعَت مني أحسنَ موقعٍ كلمةُ الأستاذ الدكتور شاكر الفحام في حفل تأبين الدكتور سبح، أحببتُ أن أُورد بضعَ فقراتٍ منها أزِّين بها هذا التصدير:

"وقد أهَّله عِلْمُهُ وخُلُقهُ وإخلاصُهُ ليتولَّى أكرمَ المناصب العلمية وأرفعها، فكان عميدَ كلية الطب، ورئيسَ الجامعة السورية (جامعة دمشق الآن)، ورئيسَ مجمع اللغة العربية... انتُخب رئيسًا للمجمع في عام ١٩٦٨ تقديرًا لعلمِهِ الواسع وكفاياته، وجليلِ خدماتِهِ لمجتمعه، وإكبارًا لمزاياهُ الكريمةِ وسجاياهُ الحميدة. وأعادَ إخوانُه انتخابَه رئيسًا للمجمع مرةً إثرَ مرة، حبًّا له، واعتزازًا بما قدَّم وأنجز، وظلَّ الأستاذُ رئيسَ المجمع الموقَّر حتى وافاه الأجلُ (في ٣١/ ١٢/ ١٩٨٦) أوفرَ ما كان نشاطًا، وأكثرَ ما كان بذلًا وعطاء. وإنَّ سِنيَّهُ الواحدةَ والأربعين التي قضاها في المجمع، وإنَّ سِنيَّهُ الثماني عشرةَ التي قضاها في رئاستِهِ لَتشهد له بجليلِ ما قام به لتكونَ العربيةُ لغةَ العلم في جامعات الوطن العربي ومؤسَّساتِهِ العلميةِ العالية. وكان له السعيُ الحثيثُ الموفَّق لتوحيدِ المصطلح العلمي، وللكتابةِ العلمية

بأسلوبٍ سهلٍ ميسَّر...

ونَعِمَ الشيخُ بالتقدير اعترافًا بما قام به، فكرَّمَه المخلصون من علماء الأمة، وعَرَفَت المؤسساتُ العلمية فَضْلَه ومكانتَه، فكان عضوًا في المجامع اللغوية العربية، وكان المقدَّمَ في المؤتمرات العلمية والدولية، وكان الرجلَ الأولَ في لجانِ تعريبِ العلوم الطبية، يَئِلُون إليه، ويَنهلون من علمه، ويأخذون برأيه. وقد حازَ أعلى الأوسمة وأرفَعَها جزاءَ ما عَمِل...

وحين غدر الفرنسيون غدرتهم المشؤومة في ميسلون (٢٤ تموز ١٩٢٠ م)، كان رحمه الله أحدَ ثلاثةٍ من الأطباء ذهبوا إلى ميدان المعركة لإنقاذِ الجرحى وإسعافِ المصابين والقيام بما يمليه الواجبُ الوطني، وشاهدَ بنفسه جثمانَ الشهيد البطل يوسف العظمة قد ضَمَّخ بدمِهِ الطاهرِ أرضَ المعركة...

ومما يُعدُّ من حسنات الدكتور سبح، وحسناتُه كثيرةٌ نَعُدُّ منها ولا نُعَدِّدها، ما قام به من جهودٍ تُذكَر فتُشكَر من أجل إنشاء مستشفى المواساة...

لقد عاش رحمه الله للعلم حياتَهُ كلَّها، يقرأ ليتعلَّم، ويعلِّم ويعمل، فكان النموذجَ القدوة، ولم يتوقَّف عن العطاء حتى لبَّى نداء ربه".

وبعدُ، فقد أَحْسَنَت لجنةُ المجمعيين الأوائل صُنعًا إذ عَهِدَت إلى الأستاذِ الدكتور صادق فرعون بإعدادِ هذا الكتاب؛ فهو من طلابِ الأستاذ سبح ومحبِّيه؛ أفادَ من علمه، وتأثَّر بسلوكه وأخلاقه، وانتهج نهجَه وسبيله.

نَهَضَ الدكتور صادق بهذه المهمة على أَتَمِّ وجهٍ وأكملِه، فتَجَشَّم عناءَ جَمْع مادة الكتاب من المكتبات والموسوعات والمجلات، فتكوَّنت لديه جملةٌ صالحةٌ من الكتب التي أَلَّفها

الأستاذ سبح، والمقالات التي نشرها، والكلمات التي ألقاها في المناسبات المتعدِّدة، فضلًا عن المقالات والكلمات التي قيلت في الأستاذ سبح، وأضاف إلى ذلك كلِّه ذكرياته ومشاهداته ولقاءاته.

أخيرًا أتوجَّه - باسمي وباسم لجنة المجمعيين الأوائل - بالشكر الجزيل للدكتور صادق فرعون على ما بذله من جهودٍ مخلصة في إعداد هذا الكتاب.

ورحم الله الأستاذ سبح، وجزاه خيرَ الجزاء كِفاءَ ما قدَّمه للعربيةِ وأهلِها.

دمشق ١٥/ جمادى الآخرة/ ١٤٣٣

٦/ أيار/ ٢٠١٢

مقدمة

كلفني مجمع اللغة العربية مشكورًا تحضير دراسة عن أعمال ومؤلفات ونشاطات الأستاذ الدكتور حسني سبح رحمه الله، رئيس المجمع السابق وأستاذ الأمراض الداخلية (الباطنية في أيام المعهد العربي للطب الأولى) ولاسيما الأمراض العصبية وعميد كلية الطب ومن ثمَّ رئيس الجامعة السورية (جامعة دمشق حاليًّا). لقد غمرني شعور من الفخر والامتنان لهذا التكليف ولكن، وفي الوقت ذاته، شعرت بكِبر مسؤولية هذه المهمة لما عُرف عن أستاذنا الكبير من همةٍ عاليةٍ ومن جدّية ومواظبة ومثابرة، قلّ مثيلها، في العمل العلمي بكل ألوانه ومناحيه، سواء في التدريس السريري أو النظري أو في تحضير المحاضرات وتأليف الكتب الطبية الضرورية للطلاب ليتمكنوا من متابعة دراستهم بلغة الضاد، وكذلك القيام بكل المهام الكثيرة والبالغة الأهمية التي أُنيطت به، والتي كان يبذل كل جهده كي يقوم بها على خير وجه وأكمله.

اسمحوا لي أن أروي لكم كيف ومتى عرفتُ الأستاذ سبح وما أحفظه عنه من ذكريات ستبقى مرافقة لي حتى آخر لحظة من حياتي.

كنتُ في السابعة أو الثامنة من العمر أقيمُ في بيت جدي لأمي الدكتور الحكيم توفيق الخطيب رحمه الله في نزلة حمام القاضي في الشاغور. كان طبيبًا درس الطب في الأستانة وخدم المرضى بعد تخرجه طبيبًا عامًّا في دمشق والطفيلة في الأردن وفي ضواحي دمشق، وكان يستقبل مرضاه في بيته العربي ذي الباحة الوسيعة الفسيحة ذات البحرة التي تتدفق من

أوسطها مياه نهر بردى – فرع القنوات ليل نهار، وفي أحد جوانبها غرفةٌ مخصصة لاستقبال المرضى. كنتُ طفلًا صغيرًا أصعد على حافة حوض شجرة الليمون حتى أصل إلى حافة النافذة حتى أتمكن من مراقبة ما يجري في غرفة الحكيم. كان أحيانًا يقوم بخياطة جرح قاطع لشابٍّ يعمل عند لحام الحارة. وكان يقوم بخياطتها، حسبما أظن، بدون أيّ تخدير موضعي، وكان يُهدِّئ الشابَّ المتألِّم بكلماتٍ حلوة وحنونة... كان أحيانًا يفحص بعضَ المرضى المصابين بالرمد، وكان منتشرًا انتشارًا واسعًا في تلك الأيام، فيقوم بقلب جفن المريض ومسحه بسائلٍ أبيض، عرفت فيما بعد أنه محلول نترات الفضة المُمدّد. وكان المريض يتألَّم ثم لا يلبث أن ينهض ويشكر الحكيم على ما فعل... هكذا بدأتُ بتعلُّم الطب وأنا بعد طفلٌ حَدَث في السابعة أو الثامنة من العمر.

لم يمض طويلُ وقتٍ حتى مرض الحكيم ولازمَ الفراش في سريره المُذهَّب في غرفة نومه في الفوقاني، وصار يسعل سعالًا جافًّا ومتقطعًا لم يتحسَّن على ما كانت تقدمه الجدة لزوجها الحكيم من شراب البابونج وأمثاله. بعد يومين أو ثلاثة دعي طبيبٌ زميلٌ لجدي حفظت اسمه بعدما تردَّد اسْمُه على كل الألسنة في البيت: إنه الدكتور حسني سبح، حكيمٌ حديث افتتح عيادةً جديدةً في الدرويشية.

أتى الطبيب الشاب ذو الوجه الحازم والجاد ودخل على جدي وسلَّم عليه ثم ما لبث أن نزع عنه ثيابه وبدأ يفحص صدره بالقرع ثم بالإصغاء ثم تحدث مع جدي بلطف وهدوء، وما لبث بعدها أن التفتَ إلى جدتي وطلب إليها أن تأتي له بطستٍ ففعلتْ، ووضعَ الطست بقرب سرير الحكيم المريض.. كنتُ طوالَ الوقت أقف بقرب باب غرفة نوم جدِّي الحكيم المريض أراقب كل ما يجري وأنا قلقٌ على جدي المريض. أَخْرَجَ الطبيبُ المعالِج من

حقيبته محقنة طويلة وفي رأسها إبرة حادة ومخيفة، ثم ما لبث أن غَرَزَها في صدر جدِّي. لقد خفق قلبي حينها خوفًا وقلقًا على جدِّي الحكيم الذي كان حتى قبل بضعة أيام يداوي مرضاه، فإذا به يغدو اليوم مريضًا تُشير ملامح وجهه أنه تألَّم عندما اخترقت تلك الإبرة جدار صدره. ما لبث الطبيب الشاب أن سحب المِدحم ببطءٍ فبدأ يظهر سائل أصفر في المحقنة، ثم سحبها بسرعة وبدأ يقذف السائل الأصفر الرغوي في الطست. بلغ الخوف مني كل مبلغ، وكنتُ أنظر إلى جدِّي بقلقٍ شديد فكان يبادلني نظرة بنظرة عميقة وهادئة وصامتة ولكنها في صمتها العميق كانت بليغة الأثر والمغزى في نفس صبي تلك الأيام... كانت تلك النظرة الصامتة تقول للطفل أشياء لم يفهم معناها في تلك اللحظة ولكن سرعان ما اكتشف، فيما بعد، ما كان جدُّه يحاول أن يقول له بنظرته الصامتة والبليغة. أعاد الطبيبُ المعالج تلك العملية المخيفة: إدخال الإبرة في صدر الجدّ الرفيقِ الحنون الهادئ وسحب المزيد من ذلك السائل الرغوي وقذفه في الطست الأبيض الكبير.. بعد عدة مراتٍ من تلك المعالجة المخيفة والمرعبة لصبي تلك الأيام، أعاد الطبيب أسلحته إلى مخبئها في حقيبته وتكلَّم كلامًا خافتًا مع جدِّي ثم مع جدِّتي وذهب.

ظل جدي قابعًا في سريره يلازمه ذلك السعال الجافُّ والمتكرر وبقي صبيُّ تلك الأيام بقرب جدِّهِ الذي يحبُّه لكثرة ما كان يراقبه وهو يعالِجُ مرضاه بحنوٍّ وعطفٍ وحبٍّ ورفق، وقد غدا اليومَ مريضًا بمرض لم يَبْدُ في البدء أنه خطر، ولكن ذلك السعال المُعنّد حتى بعد تلك المعالجة المخيفة أثارت قلقًا وخوفًا في أعماق الطفل.

في اليوم الثالث بعد زيارة الطبيب للجد المريض توفي الجدُّ بهدوءٍ وصمتٍ في سريره المذهَّب الأنيق، وكان طوال تلك الأيام الثلاثة يطيل النظرَ إلى الصبي بصمت، وكان الصبي

يبادله النظرات التي تنمّ عن الخوف والقلق والرجاء بأن يُشفى. توفي الحكيمُ بعد ذلك المرض القصير الأمد الذي لم يُثِرْ قلقًا عند الجميع في البداية، ولكن سرعان ما تبين أنه خطرٌ ومميت. شيَّعه كلُّ أهل الحارة وجيرانُه وجيرانُ كلِّ مَن جاوَرَهم، وكذلك الكثيرُ من أهالي القرى التي كان الحكيم يزورها أيام الجُمَعِ ليطبِّب أهلَها بالمجان كما كانت العادة في تلك الأيام...

هكذا كانت أول معرفتي بالأستاذ حسني سبح رحمه الله، بالطبيب النطاسي الملتزم بكل القواعد المهنية والأخلاقية في جميع مراحل حياته وحتى آخر لحظاتها.

مضت الأعوام وأدركت فحوى الرسالة الصامتة التي كانت نظراتُ جدِّي في أواخر أيامه تحاول إيصالها لي، ألا وهي أنَّ واحدة من أنبل المهن التي يمكن أن يمتهنها الإنسان هي الطب... وهكذا دخلتُ كليةَ الطب بدمشق في العام ١٩٤٩. خلال تلك السنوات الست تعرَّفتُ وتعرّف زملائي إلى عددٍ من خيرة أساتذة تلك الحقبة، ولكن الأستاذ سبح ترك أثرًا عميقًا في نفوسنا نحن الطلاب الجدُد المتحمِّسين للدراسة.

كان في دروسه السريرية مثال الدِّقة والجِدّ، وكان يجهد لكي يعلِّمنا الأسسَ الصحيحة للفحص السريري ويشجِّعنا على القراءة والدراسة والاطلاع... وكذلك كانت محاضراتُهُ النظريةُ كاملةً ومتكاملةً في طرح الموضوع الرئيس وفي تفسير كلِّ الجوانب الغامضة أو المخُتلَف عليها. وكان يشجِّعنا على مطالعة الكتب الأجنبية إضافة إلى الكتب المقررة. أذكر أنني في السنتين الأولى والثانية دَرَسْتُ كلَّ المواد تقريبًا بالعربية وأيضًا باللغة الفرنسية، وكان الطلاب في تينك السنتين ينتمون إلى واحدٍ من ثلاثة أقسام: قسمٍ يدرس بالعربية فقط

ويقصر الدراسة على الكتب المقررة الجامعية مع ما يدونونه من إضافاتٍ سمعوها في المحاضرات، وقسمٍ يدرس باللغتين العربية والفرنسية، وقسمٍ ثالثٍ كان يدرس بالعربية والإنكليزية، وكانوا كلهم من العراق الشقيق لقناعتهم بضرورة إتقان اللغة الإنكليزية، لأن الطب كان ومازال يُدرَّس في العراق بتلك اللغة.

كنتُ في السنتين الأوليين من الفريق الثاني، ولكني سرعان ما أدركت أهمية اللغة الإنكليزية التي صارت بالتدريج لغةَ العالَم الأولى في الطب وفي العلوم عامة، ولقد شجعني الأستاذ حسني سبح رحمه الله في السنة الثالثة على تلك الخطوة، فقد كان في محاضراته عن الأمراض الداخلية يكتب لنا على السبورة ما يقابل المصطلحات الطبية باللغة الإنكليزية، وكان من عادتي في نهاية تلك المحاضرات أن أسأله واستوضحه عن بعض ما غمض عليّ وما لبثت أن سألته عن سبب كتابته بالإنكليزية فابتسم وقال لي إنه بدأ دراسته بالتركية ثم بالعربية ثم بالفرنسية، والآن آن الأوان لاتخاذ اللغة الإنكليزية رديفًا للغتنا لأنها توفر لنا أكبر قدر من المراجع الطبية والعلمية... ثم نظر إليَّ مليًّا وابتسم ابتسامة لا تكاد تلحظ وقال: أنصحك بالحصول على كتاب الأمراض الداخلية لجامعة أكسفورد فهو مرجع قيّم *Price's Textbook of Internal Medicine*. فسارعت إلى الكتابة إلى مكتبة بلاكويل الشهيرة في أكسفورد وطلبت كتاب (برايس) وكنتُ أكرر الكتابة إليها لأشتري أيضًا كتبًا موسيقية لولعي بالموسيقى العالمية (الكلاسيكية)، وكانت تلك المكتبة الكريمة كثيرًا ما ترسل لي ما أطلب بالبريد قبل أن تتسلَّم ثمنَها الذي أحوِّله من المصرف في دمشق أو عن طريق البريد دون أيِّ حاجةٍ لأية معاملاتٍ معقدة كما هو الحال في أيامنا هذه. مازلتُ أحتفظ بكتاب (برايس) للأمراض الداخلية الذي وصلني بالبريد بتاريخ ٨/ ١٠/ ١٩٥١ والكثير غيره

من الكتب الطبية الإنكليزية. يعود الفضل في تشجيعي على التحوُّل من اللغة الفرنسية التي كنتُ ومازلت أحبِّها منذ صغري، فهي لغة لامارتين ودو موسيه وألفونس دودي وبودلير وغيرهم كُثرٌ من مشاهير شعراء فرنسا وكتَّابها... إلى الأستاذ سبح.

لم تنقطع صلتي بالأستاذ سبح بعد التخرُّج، وإن تباعدت قليلًا. اسمحوا لي أن أروي لكم قصةً أو قصتين عن أستاذنا الجليل النطاسي. أُصبتُ في العام ١٩٧٠ تقريبًا بقيءٍ صيفيٍّ شديد، واحترت في أمري إذ لم تُفِدْ كلُّ الأدوية التي تعاطيتها، وما لبثتُ أن طلبتُ مشورةَ مختصٍّ في الأمراض الهضمية فزارني في بيتي ووَصَفَ لي عددًا كبيرًا من الأدوية... ولكن دون أيِّ تحسُّن يُذكر. حينها ذكرتُ أستاذي الكريم، الأستاذ سبح، وفكرت هل أتصل به أم لا، وهو المعروف بأنه من أساطين الأمراض الباطنية، وما لبثت زوجتي أن اتصلتْ به وذكرت له حالتي التي أقعدتني عن الذهاب إلى عملي أكثر من أسبوع. لم يتأخَّر أبدًا عن القدوم وفحصني في سريري، وطلب إلى زوجتي أن أتبع حميةً غذائية بسيطة وأعطاها دواءً واحدًا، وطلب إليها أن تتصل به يوميًّا وتُعلمه عن حالتي.

في اليوم التالي. نعم في اليوم التالي لا أكثر، نهضتُ مبكرًا وقد شعرت بالراحة وبعودة قواي لي وبتوقُّف القيء، وسارعتُ إلى الذهاب إلى دار التوليد الجامعي التي لا يجوز لأحد من أعضائها أن يتأخَّر في وصوله عن الثامنة صباحًا ولا دقيقة واحدة.

أنا أدرك تمامًا أن البعض أو أكثر من البعض سيبتسم ويظن أنه كان مجرد تأثيرٍ نفسي بثَّه الطبيبُ المعالِج في روحي، ولكنني موقنٌ أن الأستاذ عرف دقائق ذلك الالتهاب المعِدي وأعطى الدواءَ المناسب، بالمقدار المناسب، وفي الوقت المناسب، فكانت هي اللمسة

السحرية التي عُرف ويُعْرَف بها بعضُ نطاسيي الطب. صدّقوا أو لا تصدّقوا هذا، ولكن هكذا كانت لمسة الأستاذ سبح السحرية على زميله الحالي وتلميذه السابق، وأيضًا صبي تلك الأيام القديمة الخائف الذي كان يراقبه وهو يعالج جدَّه الذي أُصيبَ بذات الرئة في ثلاثينيات القرن الماضي، ولسوء الحظ قبل أن يكتشف السير ألكسندر فليمينغ البنسيلين.

أودّ أن أسرد لكم زيارتي له وهو في لحظاتِ حياتِهِ الأخيرة في غرفة العناية المشدَّدة في مركز العناية الطبية (الشامي)، والعديد من الأنابيب داخل أنفه وفمه، والعديد من السيرومات في ساعديه، فما كان من طبيب العناية إلا أن قال له بصوت عالٍ: هذا هو الدكتور فرعون أراد أن يطمئن عنك! فما كان منه إلا أن سارع وأجاب الطبيب المناوب بصوتٍ عالٍ وواثق: طبعًا أنا أذكره وأعرفه جيدًا، ثم سارع فالتفت نحوي وطلب إليَّ أمرَيْن: الأول أن ذكّرني بضرورة أن أسرع في إتمام المهمة التي طلبها إليَّ في إكمال (نواة المعجم الموسيقي) لنشرها في مجلة المجمع، والأمر الثاني أن أسرع فأتصل بالأستاذ شوكة القنواتي وأن أذكر له وأبلِّغه أن زميله الأستاذ سبح لم يستطع أن يذهب لزيارته التي وعده بها لأنهم أتوا به فجأة إلى هذا المستشفى وهو في طريقه إلى مجمع اللغة العربية.

رحم الله أستاذنا الكبير الأستاذ الدكتور حسني سبح، كان واحدًا من أفضل وأعظم الأطباء الذين عرفتهم سورية، ومن أفضل وأعظم أساتذة كلية الطب منذ تأسيسها وحتى يومنا هذا.

تغمده الله بعظيم رحمته؛ فقد كان خير مثلٍ وخير طبيبٍ وحكيمٍ وأستاذٍ وناصحٍ ومفكّر.

يسعدني كثيرًا ويشرفني أنني قمتُ بجهدٍ متواضع في جمع وتلخيص بعض ما قدّمه لهذا الوطن ولكلية الطب وللجامعة ولأفواجٍ وأجيالٍ كثيرة من الأطباء الذين حالفهم الحظ فدرسوا على يديه.

ما يزال الأمل كبيرًا في أن وجودنا جميعًا، في الجامعة وفي خارجها لتشمل المجتمع بكامله، سيخطو خطوات حقيقية وفعلية نحو الأمام وسيرى أحفادنا أمثال الأستاذ حسني سبح في علمه وخلقه وجدّه ونظامه والتزامه ومتابعته للعلم وللمعرفة حتى آخر لحظة من حياته.

في الختام لا أستطيع إلا أن أفصح عن تساؤلي الجادّ: هل كانت وفاة الأستاذ سبح في آخر يوم من العام مجرد مصادفة؟! أم أنها كانت تُظهر عميقَ إيمانه والتزامه بالنظام والدقة في كل أمر، كبيرِهِ مثل صغيرِهِ، حتى في تحديد آخر لحظةٍ له على سطح هذه الأرض؟

ألا يمكننا القول: لقد عَرَفَ الأستاذُ كيف يعيش، ولقد عرفَ كيف ومتى يموت.

أقف إجلالًا لأستاذٍ كبير وعظيم، وأقف احترامًا وتقديرًا لمجمع اللغة العربية بدمشق الذي شاء أن يمنحني هذه الفرصة الغالية لكي أردّ بعض الدَّين لواحدٍ من الأساتذة الذين أسعدني أن أتتلمذ عليهم: الأستاذ الدكتور حسني سبح، أستاذ الأمراض الباطنة، وعميد كلية الطب، ورئيس الجامعة السورية، ورئيس مجمع اللغة العربية بدمشق حتى آخر لحظات حياته الثرّة بالعطاء والعمل والجهد الدائب والمتواصل...

وبصفتي طبيب توليد وأمراض نساء تربَّى وترعرع في دار التوليد القديمة في كلية الطب لا يسعني إلا أن أقف باحترام وإجلال ومحبة لذكرى اثنين من سادتها: مؤسِّس دار

التوليد وصديق الأستاذ سبح الأستاذ الدكتور شوكة القنواتي، الذي كان يزوره أسبوعيًّا، أو كلما سنحت له الفرصة، في بيته وكان يسعدني حضور بعض هذه الزيارات والإصغاء إلى حديثِ وحوارِ هذين الأستاذين المتميِّزين... والأستاذ الدكتور محمود مظفر برمدا، تغمَّدهم الله جميعًا بوافر رحمته وأسكنهم فسيح جنانه... وشكرًا لكم جميعًا.

الثلاثاء ١٨/ ٨/ ٢٠١١ السابعة مساءً ١٧ رمضان ١٤٣٢ هجرية.

د. صادق فرعون

حياته

لمحة إلى حياة الأستاذ الدكتور حسني بن يحيى سبح

بقلم: د. أنس حسني سبح

- ولد في دمشق سنة ١٣١٧ هجرية - ١٩٠٠ ميلادية، وتوفي في دمشق في ٢٩ ربيع الثاني ١٤٠٧ هجرية - ٣١ كانون الأول ١٩٨٦ ميلادية. وعلى ذلك يكون قد عاصر كل العهود التي مرّت على الوطن في القرن الماضي، بدءًا من الحكم العثماني، فالعهد الفيصلي، فالانتداب الفرنسي، فالاستقلال، ففترة الانقلابات وصولًا إلى سورية الحديثة.
- نشأ عصاميًّا، وكان مستقلَّ الإرادة والتفكير، مهنيًّا في أداء أعماله.
- كان أصغر مَن دَرَسَ الطب، له من العمر ١٣ عامًا فقط، دخل بمسابقة، وتَخَرَّج عام ١٩١٩. شهادته تحمل اسم المملكة السورية، رقم ٨. (في آخر الكتاب صورة عنها).
- تابع دراسته العالية في عدة دول أوروبية.
- يتقن اللغة التركية والفرنسية والألمانية والإنكليزية، إضافة إلى تَمَيُّزه باللغة العربية.
- خدم في مناصبَ رسميةٍ خدمةً متواصلةً تقريبًا منذ العام ١٩٢٠ وحتى وفاته عام ١٩٨٦. وبذلك تكون خدمته في الدولة أطول مما خدمه أي شخص آخر.
- استَهلَّ حياته المهنية بتثبيت حقيقةٍ تاريخيةٍ حين تطوّع لإسعاف جرحى معركة ميسلون مع اثنين من زملائه. فأكّد أن الشهيد يوسف العظمة استشهد بشظيةِ قنبلةٍ

مزَّقت أحشاءه، لا كما ادعى المستعمر كذبًا، وَوُورِيَ الثرى بحضور الأستاذ سبح. وشهد أيضًا أن المستعمر كان قد أجهز على كلِّ الجرحى في أرض المعركة.

- هو من الرعيل الأول ممن أسهم في إنشاء كلية الطب والجامعة السورية (جامعة دمشق الآن)، طبيبًا وأستاذًا، وعميدًا للكلية ورئيسًا للجامعة.
- عمل عملًا دؤوبًا لإعلاء شأن اللغة، ولتعريب الطب، فوضع العديد من المصطلحات الطبية، بصفته أستاذًا في الكلية، وعضوًا في مجمع اللغة العربية منذ عام ١٩٤٥، ورئيسًا للمجمع (بالانتخاب) منذ عام ١٩٦٨ وحتى وفاته عام ١٩٨٦.
- أسَّس جمعيةَ المواساة السورية عام ١٩٤٣، وبقي رئيسًا لها حتى عام ١٩٧٥. قامت تلك الجمعية الخيرية ببناء مستشفى المواساة (أكبر المشافي في حينها)، ثم أهدته للدولة لتدريس طلاب الطب، إضافة إلى خدمة المواطنين.
- له العديد من المؤلفات (تجاوزت العشرين)، ومقالات منشورة (١٥٧ مقالًا).
- كرَّمته عدةُ جهات، فنال أوسمة سورية وعربية وأجنبية. ووُضِعَ اسمُه مع مشاهير العالم في كتاب (من هو من في العالَم) عام ١٩٨٦، وأَطْلَقَت محافظةُ دمشق اسمَه على أحد شوارعها، وصدر طابع تذكاري له.

حسني سبح (١٩٠٠- ١٩٨٦)

(نُشرت في المجلد العاشر من الموسوعة العربية)

بقلم: د. عدنان تكريتي

هو حسني بن يحيى سبح، طبيبٌ ولغويٌ ومعرِّبٌ للعلوم الطبِّية. وُلِدَ في دمشق، وكان أحد توأمين لوالده الذي كان يعمل في الجيش العثماني. تَلَقَّى علومَه الأولية في مدارس دمشق التي كان التعليم فيها باللغة التركية، عدا بعض دروسٍ خُصِّصت للعربية وللغةِ الأجنبية. ولكنَّ الله حباه في أثناء دراسته معلِّمًا، هو الأمير عارف الشهابي، نَذَرَ نفسَه لتعليم العربية تطوُّعًا، فحبَّبه بها ومَهَّد له طريق التعمُّق فيها.

تَقدَّم حسني سبح في سنة ١٩١٣ لمسابقة دخول (المكتب الطبي العثماني) الذي لم يكن يُحدِّد عمرًا لقبول الطلاب فيه. وكان المكتب قد أُنشئ في دمشق عام ١٩٠٣، ومدة الدراسة فيه ستُّ سنوات. وحينما أُعلنت الحربُ العالمية الأولى سنة ١٩١٤ انتقلَ التدريسُ من هذا المكتب إلى بيروت، ليَشغل أمكنةَ (المعهد الطبي الفرنسي) ومخابرَهُ في الجامعة اليسوعية، وانتقلَ حسني سبح معه، ولما حَطَّتِ الحربُ أوزارَها دُعِيَ الطلابُ إلى متابعة تعليمهم في دمشق باللغة العربية، بعد أن قرَّرت الحكومةُ العربيةُ الفيصليةُ إعادةَ التدريس بالمكتب العثماني وأطلقت عليه يومئذ اسم (المكتب الطبي العربي). تَخرَّج الفوجُ الأول من هذه المدرسة – التي هي كلية طب جامعة دمشق اليوم – سنة ١٩١٩، وكان عددُ الخرِّيجين ثمانيةً

وأربعين طبيبًا، أحدهم حسني سبح، وعُيِّنَ بعد تخرُّجه مساعدًا فيها. ثم عَمِلَ في أواخر عام ١٩٢٢ مساعد مخبر في (المعهد الطبي العربي)، وهو الاسمُ الجديد الذي أُطلق على المكتب الطبي العربي. وفي سنة ١٩٢٤ سافر إلى فرنسا وسويسرا للتخصُّص والمتابعة، فاغتنم فرصة وجودِهِ في أوروبا لتقديم الفحص الإجمالي في لوزان (سويسرا) للحصول على شهادة دكتوراه في الطب عام ١٩٢٥، وكان موضوع الرسالة (الأطروحة) التي قدمها: نمو الغشاء المشيمي في الإنسان.

وبعد عودته إلى دمشق عُيِّنَ رئيسًا للمخبر، وراح يترقَّى في سُلَّم الهيئة التدريسية حتى سُمِّي عام ١٩٣٢ أستاذًا للأمراض الباطنة. وفي عام ١٩٣٨ انتُخب رئيسًا للمعهد الطبي العربي، ثم رئيسًا للجامعة السورية عام ١٩٤٣. وظلَّ يَشغل المنصبَيْن معًا حتى سنة ١٩٤٦، وبقي رئيسًا للجامعة وحدها مدة سنتين بعد ذلك. واستمر حسني سبح في عملِهِ التدريسي نحو أربعين عامًا، حرص فيها على تعليم طلابه آخِرَ المستحدثات الطبية، وحَثَّهم على اتِّباع الأسلوب العلمي في فَحْصِ المريض والتزام الدِّقة في التشخيص. ومع أن معظمَ دروسِهِ السريرية كانت في الأمراض العصبية، فقد كانت في الواقع دروسًا شاملةً للعلوم الطبية.

أصدر عام ١٩٣٣ أوَّلَ مؤلَّفاتِهِ لتلميذاتِ القبالة والتمريض، هو (موجز مبادئ علم الأمراض)، ثم عَدَّله في طبعة ثانية ليصبح ملائمًا لطلاب طب الأسنان. وفي عام ١٩٣٤ أصدر كتاب (مبحث الأعراض والتشخيص) لطلاب الطب البشري. وفي عام ١٩٣٥ باشر بإصدار مجموعته الكبيرة المسماة (علم الأمراض الباطنة) التي تألَّفت من سبعةِ أجزاءٍ ضخمة، اختصَّ كلُّ واحدٍ منها بشعبةٍ من شعب الطب الباطني، وقَضَى في تأليفها نحو اثنين وعشرين عامًا، بدأها بأمراض الجملة العصبية، وأنهاها بأمراض الغدد الصم والتغذية

والتسمُّمات، عام ١٩٥٦. وفي هذه الحقبة أصدر عام ١٩٣٩ كتاب (فلسفة الطب أو علم الأمراض العام).

ولم يقتصر نشاطُهُ العلمي على تأليف الكتب، بل نَشَرَ عددًا كبيرًا من المقالات الطبية وغير الطبية في (مجلة المعهد الطبي العربي)، و(مجلة مجمع اللغة العربية)، و(المجلة الطبية العربية)، كما أسهم في إلقاء بحوثٍ علميةٍ في العديد من المؤتمرات الطبية والتعليمية التي شارك فيها.

دَأَبَ حسني سبح منذ فجر عمله الجامعي على تطويع اللغة العربية لمصطلحات العلوم الطبية، فكان يقول: "... كل بلاد لا تُماشِي لغتُها العلومَ في ارتقائها لا تَصلح لأن تكون مصدرًا لتلك الثقافة...". وكان له في وضع المصطلح الطبي منهجٌ ظَلَّ مثابرًا عليه حتى آخر أيامه، وذَكَرَهُ في مقدمة أحد كتبه؛ وهو: "... تَوَخِّي الألفاظ الدارجة الصحيحة في الدرجة الأولى... ثم تعريب الكلمات الأجنبية إن لم يجد ما يفي بالمراد بها من كلمات العربية تمام الوفاء..."، لأن "الغاية إنما هي تسهيل فهم الأبحاث لا المباراة بغريب الألفاظ أو مستهجن الكَلِم...". كما اعتمد على "انتقاء الألفاظ والمصطلحات التي تلائم روح العصر". وقد سَعَى دومًا إلى توحيد المصطلحات، واستبشرَ خيرًا حينما عَلِمَ أنَّ لجنةً من أساتذة المعهد الطبي العربي تألَّفت وأخذت على عاتقها نَقْلَ معجم كليرفيل Clairville الطبي الكثير اللغات إلى العربية. ولكنه حينما أجال النظر فيه رأى أن يسجِّل ملاحظاتِهِ في سبعٍ وستين مقالةً نشرها تباعًا في (مجلة مجمع اللغة العربية) على امتدادِ ثلاثةٍ وعشرين عامًا امتدت من سنة ١٩٥٩ إلى سنة ١٩٨٢، ثم جَمَعَها في كتابٍ أسماه (نظرة في معجم المصطلحات الكثير اللغات). ثم جاءت مشاركتُهُ الفعَّالة والمثمرة في وضع (المعجم الطبي الموحَّد) الذي صَدَرَ

في طبعته الأولى عام ١٩٧٣ عن أربعِ مؤسَّساتٍ رسمية. ولا بدَّ من الإشارة إلى أنه راجَعَ ألوفَ الجذاذات التي دَوَّنَ عليها يوسف حَتِّي قاموسَهُ الطبِّي قبل طبعه عام ١٩٦٧، وأبدى له ملاحظاتٍ قيمةً أَخَذَ بها.

وكان من تأثير جهوده اللغوية ومشاركاته العلمية أن انتُخب عضوًا عاملًا في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية بدمشق اليوم) سنة ١٩٤٦ ثم رئيسًا له عام ١٩٦٨ واستمرَّ يرأسه حتى وافاه الأجل في دمشق. كما انتُخب عضوًا في عدة مجامع علمية لغوية أخرى، كمجمع اللغة العربية في القاهرة، ومجمع اللغة العربية في الأردن، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة والإسلام في الأردن، والمجمع العلمي الهندي، وكوفِئ بمنحِهِ عدة أوسمةٍ من سورية والأردن ومصر وإيران.

أتقن حسني سبح اللغات التركية والفرنسية والألمانية والإنكليزية إلى جانب العربية.

وكانت له نشاطات اجتماعية ووطنية، منها: تَطوُّعُهُ في موقعةِ ميسلون لإسعاف الجرحى، وفحصُهُ جثمان يوسف العظمة بعد استشهاده وتأكيد إصابته بشظية مزَّقت طحاله، وكتابتُهُ مقالاتٍ يُظْهِر فيها غايةَ بعض المستشرقين، وعملُهُ الدؤوب في رئاسة جمعية المواساة التي أَسَّست مستشفى المواساة، وانتخابُهُ رئيسًا لها من عام ١٩٤٣ إلى ١٩٧٥.

زيارة لعيادة الأستاذ حسني سبح

بقلم: د. صادق فرعون

رأيت في المنام أنني اتصلتُ بعيادةِ الأستاذ سبح لألَمٍ مفاجئ أصابَ زوجتي في ظَهرها وانتشر إلى طرفَيْها السفليين. أجابت على هاتفي آنسةٌ لطيفة. فهمتْ مني أن الأمرَ عاجلٌ بسبب ذلك الوجع المفاجئ. قلت لها إنني طبيب، وإن الأستاذ سبح كان أستاذي في الأمراض الباطنة... أعطتني موعدًا مستعجلًا.. وذهبنا على عجل..

تقع العيادة في منطقةٍ مكتظةٍ نسبيًّا بالسكان، لا هي بالفقيرة ولا هي بالغنية الثرية والمفرطة في المظاهر. شعرتُ بلهفةٍ لأن أدْرُسَ كيفيةَ سير العمل فيها اليوم، وهل ما يزال أستاذنا يَستعمل الورقة والقلم ويَنقر على الركبة بالمطرقة التي كان يستعملها في تدريسنا: منعكس ركبي مشتدّ أو علامة بابنسكي؟

لاحظتُ فورًا أن بناء العيادة الأرضية مستطيل، وأنها تتألف من تسع غرف: طولُ كلِّ غرفةٍ أربعةُ أمتار وعرضُها ثلاثةُ أمتار، وهي مرتَّبةٌ على شكل ثلاثة مستطيلات، كلُّ واحدٍ يتألف من ثلاث غرفٍ متوالية من الأمام نحو الخلف، وهي تشكِّل وحدةً سريريةً مستقلة. في الغرفة الأولى أو الأمامية قابلتْنا سكرتيرة شابةٌ رحَّبَت بنا وسألَت زوجتي: هل سبق لكِ أن عولجت عند الحكيم؟ فأجابت بالإيجاب. وسرعان ما ظَهَرَ على شاشة حاسوبها اسم زوجتي، فأخذَت بعضَ المعلومات منها لتسجِّلها على عجلٍ على حاسوبها الذي يقبع صامتًا أمامها... ساعدَتها مساعدةً سريريةً لكي تدخل إلى الغرفة الثانية التي تشبه الأولى، حيث

أُجريت لها بعض الفحوص المنوالية مثل الضغط الشرياني والوزن والطول الخ... انتظرْنا قليلًا فإذا بها تشير إلينا بالدخول إلى مكتب الأستاذ. فوجئت بأن أستاذنا، كما اعتدناه أيام الدراسة السريرية، مازال نشيطًا ومبتسمًا بحدودٍ مدروسة، وفي الآن ذاته جديًّا بكل معنى الكلمة. رحَّب بي وسألني عن صحتي وعن عملي وعن الجامعة، ثم سرعان ما التفتَ إلى زوجتي ورحَّب بها وطمأنها إلى أن المسألة بسيطة وأنها ربما أجهدَت نفسَها في عملها اليومي وفي العناية بأولادها. لكنَّ زوجتي سرعان ما احتجت قائلة: لا! ليس فقط الأولاد، بل الآن الأحفاد ذكورًا وإناثًا، منهم الحاضرُ الذي يحتاج إلى الكثير من العناية والرعاية والطلبات التي لا تنتهي، ومنهم الغائبُون البعيدون الذين مازلت أفكِّر فيهم وفي أحوالهم وأمور حياتهم فيشتدُّ ألمي وتتوتر أعصابي وأشعر بالقلق والخوف من أن يكون قد ألَمَّ بهم أي سوء... ابتسم أستاذنا في وجهها وفي وجهي وحاول جهده طمأنتها أنهم كلهم بخير، وأن عليهم أن يَعتمدوا على أنفسهم في حياتهم وفي التخطيط الصحيح لمستقبلهم...

وهكذا بدأ الفحصُ السريري لزوجتي تمامًا كما عَهِدتُهُ أيام الدراسة، ثم سرعان ما وضع بعض الحسّاسات على أذنيها ورقبتها وكتفيها وظهرها وأنامل أصابعها وركبتيها وقدميها ثم أدار جهازًا إلكترونيًّا عجيبًا، فإذا به يشير إلى الأمكنة التي انطلق منها الألم. "إنه ألَمُ انضغاطي سببه ازديادُ الوزن أكثر من الطبيعي، وكذلك هناك موجاتٌ عصبية عالية التوتر في الدماغ وتحت الخيمة المخيخية وفي منطقة السرير البصري سببها توترٌ نفسيٌّ زائدٌ عن الحدِّ المقبول، ولا بدَّ أنه أيضًا من الأسباب المؤدية إلى تلك الشكايات والآلام". حدَّثها أستاذُنا بهدوء، وأشار إلى المواضع التي سببت الألم، ونَصَحها بالتحلِّي بالصبر والأناة مع هذا الجيل الجديد الذي يطلب الكثير ويقدِّم أقلَّ القليل! "ولكنْ - هكذا تابع الأستاذ

السريري بامتياز – لقد غدت ظروفُ الحياة في هذه الأيام صعبةً عسيرة ومتطلباتها لا تحصى ولاسيما وأن الشباب في أيامنا هذه يهوى تقليد كلِّ صرعةٍ جديدةٍ تَظهر على شاشات التلفاز وكل برنامجٍ يَظهر على الحاسوب والمحمول الخ... وأن على جيلكم أن يتحلَّى بالصبر وطول البال، وأن يدعو الله أن يحسِّن أحوالنا ويهدِّئ بالنا". ثم التفتَ نحوها وقد عَلَتْ وجهَهُ علاماتُ الجدِّ والقلق ونبَّهها إلى أن وزنها زائدٌ كثيرًا عن الحدِّ المطلوب، وأن مُشْعِرَ كتلةِ الجسم قد تَجاوز الطبيعي بكثير، وأن عليها أن تتبع حميةً نباتيةً قليلةَ الدسم، وأن تمارس بعضَ الرياضة الخفيفة كلَّ يوم الخ... وهكذا انتهت الزيارة.

كان مع أستاذنا سبح طبيبان شابان يتابعان مجريات الفحص الطبي باهتمامٍ بادٍ. كَتَبَ لها وصفةً طبية، ورجاني أن أبلِّغه بعد يومين أو ثلاثة عن حالتها: هل تَحسَّنت أم لا؟ وعندها سيُعيد تقويم حالتها ثانية، وإن اقتضى الأمر فسيزورها في البيت. لاحظت أن سحنةَ زوجتي قد تغيَّرت بسرعة، وبدا عليها الاطمئنان وراحة البال. نهضتْ بسرعةٍ لنغادر عيادةَ الأستاذ سبح الجديدة ولنشكره على لطفه وحسن استقباله.. في أثناء خروجنا من العيادة شعرت ببرودة الهواء من جانبٍ واحد، فالتفتُّ لاستطلع الأمر فإذا بي أجدني في سريري وقد بدأتْ أنسامُ الصباح المبكِّر تتسرَّب من النافذة المفتوحة مع بداياتِ يومٍ صيفي يبدو أنه سيكون حارًّا، ووجدتُ زوجتي في سريرها تستمع بنومٍ هانئ بعد يومٍ مُلِئَ بالعمل المنْزلي. سارعتُ بهدوء ودون إحداثِ أيِّ ضجيجٍ لأكتب لمحةً عن تلك الزيارة لعيادة أستاذنا سبح التي تمت في أواخر ليلية صيفية حارة...

قد يبتسم بعضُ مَن يقرأ هذه الكلمات ويَظن بكاتبها الظنون.. أما مَنْ كَتَبَ عن هذه الزيارة الطبية، التي حَدَثَت لي ولكنها لم تَحدث للبعض الآخر، فأنا الطبيبُ الذي مارَسَ

مهنتَهُ ما يزيد على نصف قرن، أعتقد أن هناك أكثر من الكثير الذي لا يعرفه الإنسان بعدُ والذي لم تكتشفه علوم الإنسان الطبية منها وغير الطبية.. على سبيل المثال: ما هي الحياة؟ وما هو الموت؟ ومَن منَّا يُعتبر حيًّا ومن يُعتبر مَيْتًا؟ ومتى نحدِّد لحظةَ الموت؟ وهل يُحِسُّ الميْت بِمَن حوله وما حوله؟ وما هي الروح، وما جوهرها؟ وهل تبقى هذه الروح حائمةً حول المرابع التي عاش فيها صاحبها وكذلك الناس الذي قضت حياتَها معهم؟ وهل تتسرَّب تلك الروحُ إلى أعماق ذرِّياتها التي أنجبتها وأنجبها أولادها وأحفادها وأحفاد أحفادها؟ إنها كلها تساؤلات كبيرة ولا محدودة الحدود وهي بالتأكيد تكوِّن جزءًا هامًّا من عالَمِ الأمراض العصبية التي كان أستاذنا حسني سبح يغوص في أعماقها ويحاول سبرها واكتشاف ما في قاعها من لآلئ ونوادر الحقائق والأجوبة على الكثير من المجهولات في الإنسان، جسمه وعقله وروحه، وفي كل ما يحيط به من أكوان وعوالم لا يعلم حدودها وأعدادها إلا الله... تساءلتُ لِمَ يا ترى رأيت في المنام عيادةَ الأستاذ سبح وقد أخذَت مظهرًا حداثيًّا ومتجدِّدًا، على حين كانت عيادتُهُ تقتصر على غرفةٍ أو غرفتين، ولم تكن فيها تلك الأجهزة البالغة الحداثة؟ بعد تفكيرٍ وتمعُّن أدركتُ أن ذلك كان لأنَّ الأستاذ سبح يؤمن بأن مسيرة العلم لانهايةَ لها، وأنَّ على المرء أنْ يتابعها ويواكبها ويجهد ليشارك في كشف المزيد من أسرار الحياة والمرض والصحة، وهذه كانت أهم صفاته وأرفع سماته وميزاته.

رحم الله أستاذنا حسني سبح؛ فقد كان مثلًا رائعًا يُحتذى للطبيب والعالم والإنسان الحقّ عندما يرتفع ويسمو في آفاق العلم والأخلاق وعندما يبتعد عن سفاسف الأمور وصغائرها.

الأحد ٥ حزيران ٢٠١١ الساعة السابعة صباحًا! هل هي مصادفة؟

كلمة التأبين التي ألقاها الدكتور شاكر الفحام

عند دفن الدكتور حسني سبح رحمه الله

رحمة الله عليك أيها الأستاذ الكبير والعالم الجليل.

رَوَّعَتْنا الفجيعةُ بك، وهالنا المصاب. وفَقَدْنا بك ركنًا عزيزًا كنا نأوي إليه ونلوذ به.

لقد كانت حياتُك كلُّها عطاءً متصلًا وعملًا نافعًا، فشاركتَ منذ نشأتك وشبابك في السعي الدائب من أجل رفعة الوطن وتقدمه وازدهاره.

ولما قامت الدولةُ العربيةُ في بلاد الشام، وتنادى المخلصون لتعريب الدولة، كنتَ في فوج الطليعة التي وَقَفَت نفسَها منذ فجر الاستقلال لتعرِّب العلومَ الطبية، تؤدِّيه أحسنَ الأداء بثقةٍ واعتزاز.

وحين غَدَرَ الفرنسيون غَدْرَتَهم المشؤومةَ في ميسلون، كنتَ أحدَ ثلاثةٍ من الأطباء ذهبوا إلى ميدان المعركة لإنقاذ الجرحى والقيام بما يمليه الواجب الوطني، وشاهدتَ بنفسك جثمان الشهيد البطل يوسف العظمة.

كان إيمانُك بأمتك، واعتدادُك بلغةِ القرآن المنَزَّل لا حدَّ لهما. وقد أهَّلك علمك وخلقك وإخلاصك لتتولَّى أكرم المناصب العلمية وأرفعها، فكنتَ عميد كلية الطب، ورئيس

الجامعة السورية، ورئيس مجمع اللغة العربية. وكنتَ مثلًا أعلى في الإدارة، جِدًّا وبذلًا، متابعةً للتطوير والتقدم، وخلَّفتَ وراءك آثارًا حِسَانًا تَشهد بمقدرتك وحنكتك وحُسن تصريفك للأمور.

ولقد كَرَّمكَ المخلصون من علماء الأمة، وعَرَفَتْ لك المؤسساتُ العلميةُ فضلَك، فكنتَ عضوًا في المجامع اللغوية العربية، وكنت المقدَّمَ في المؤتمرات العلمية العربية والدولية، وكنتَ العضوَ الأول في لجان تعريب العلوم الطبية، يَئِلُون إليك، ويَنهلون من علمك، ويأخذون برأيك.

ولقد أغنيتَ المكتبةَ العربية بمؤلفاتك الطبية، وأغنيتَ المعجمَ العربي بمصطلحاتك، ولم تتوقف قطُّ عن العطاء خلال ستين عامًا أو يزيد، تُقدِّم خلاصةَ ما انتهى إليه علمُك، وما بَلَغَتْهُ خبرتُك، فجزاكَ اللهُ خير ما يجزي عباده المخلصين.

باسمي وباسم أخواني أعضاء مجمع اللغة العربية أقدِّم التعازي لأسرة الفقيد الغالي، وأسأل اللهَ جلَّ جلاله أن يتغمَّد الفقيدَ برحمتِهِ وواسعِ رضوانه، وأن يُلْهِمَ أهلَهُ وأصدقاءَهُ الصبرَ وحُسْنَ العزاء.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فقيد المجمع

الأستاذ الدكتور حسني سبح

(ألقيت هذه الكلمة في حفل تأبين الأستاذ الكبير الدكتور حسني سبح، الذي أقامته نقابة الأطباء ظهر يوم الأحد في ٢٢/ ٢/ ١٩٨٧)

الدكتور شاكر الفحام

سيرةُ أستاذنا الجليل الدكتور حسني سبح، تغمَّده الله برحمته وأغدق عليه سحائب رضوانه، سيرةٌ حافلة. فهو من أولئك الرجال الأفذاذ النادرين الذين يمثِّلون في حياتهم جيلَهم بكلِّ ما نَهَضَ به وعَمِلَ له ونادَى به وتطلَّع إلى تحقيقه. إنه شاهدُ عصره حقًّا وصدقًا، الشاهدُ المشاركُ الفاعل.

وُلِدَ، رحمه الله، مع مولد القرن العشرين (سنة ١٣١٧ هـ - ١٩٠٠ م)، وكانت الحركةُ العربيةُ الفتية قد تفتَّحت في بلاد الشام، تثير في النفوس مشاعر العزة والكرامة والإباء، وتُهيب بها أن تنهض لبعث الحضارة العربية الزاهرة، فنشأ في هذا الجو المتدفق وطنية، المتعطِّش إلى الحرية، الساعي لاستقلال العرب ووحدتهم واستعادة مجدهم. وتقبلت نفسُه الخيرةُ البذورَ الطيبةَ التي أمدَّته بها بيئته، وغرسَها فيه بعضُ معلِّميه أمثال الشهيد الأمير عارف الشهابي الذي عُنِيَ به ووالَى تعليمَه بضعَ سنين، فشغف بالعربية وبيانها، وشبَّ على حبِّ الوطن، وتطلَّع إلى حريته، ووقف حياته من بعدُ يجهد ويجاهد لرفعته وتقدُّمه وازدهاره.

انتسب، بعد نجاحه في المسابقة، إلى المدرسة الطبية العثمانية بدمشق عام ١٩١٣ م، وهي مدرسةٌ أنشأتها الدولة العثمانية عام ١٩٠٣ م، وكانت التركيةُ لغةَ التدريس فيها، وكان معظمُ أساتيذها من الترك، وأتساءل: هل وقع في خَلَد الفتى العربي وهو يتلقَّى علوم الطب باللغة التركية أن القدر قد اختاره ليكون من أبرز أساطين تعريب الطب، وأنه سيلقي محاضراته ودروسه بالعربية المُبِينة في أول كلية للطب تدرِّس علومَ الطب بالعربية في القرن العشرين، وأنه سيُغْنِي المكتبةَ العربية بمؤلَّفاته الطبية الهامة، ويقدِّمُ للمعجم العربي ثروةً نفيسةً من المصطلحات العلمية؟

ونشبت الحرب العالمية الأولى، وكان رحمه الله في مطلع دراسته الطبية، وتبدَّت نيَّاتُ الاتحاديين الترك، وما يبيِّتون للعروبة من شرور، وتتالت نُذُر السَّوْء، وتتابعت الأحداث الفاجعة على الوطن العربي، وكان أثقلها تلك الجريمة المروِّعة التي اقترفها جمال السفاح بحقِّ شهداء العرب، عليهم الرحمة والرضوان، وأثارته هذه المظالم التي نزلت بقومه، وانطبعت صورتُها في نفسه لم تفارقه طوال حياته. حدثني رحمه الله في أخريات أيامه أن الظالم السفاح زار المدرسةَ الطبية إثر جريمته النكراء، (وكانت المدرسة قد انتقلت في أيام الحرب إلى بيروت)، وتفقَّد الطلابَ في صفوفهم، ولما دخل صفَّه، وكان في عنفوان جبروته، كَبُر على الفتى العربي أن ينهض لتحيته كما نهض زملاؤه، وظلَّ في مقعده، تعبيرًا عما كان يخالج نفسَه من كراهية له واستنكارٍ لفعلته، وسلَّمه الله ووقاه، فلم تلحظْه عينُ الباغي الأثيم.

ولما قامت الدولةُ العربية في بلاد الشام افتَتحت مدرسةً لتعليم الطب والصيدلة بدمشق، استَقبلت فيمن استقبلته أولئك الطلاب الذين لم يُتِمُّوا دراستهم في المدرسة الطبية العثمانية، وخرَّجت مدرسةُ الطب العربية الفوجَ الأول من طلبتها (وعِدَّتهم ٤٨ طالبًا) في

صيف عام ١٩١٩ م، مُنِحوا لقب عليم (دكتور)، وكان من بينهم الدكتور سبح.

وملأت الفرحةُ بلادَ الشام بقيام الدولة العربية، وتبارى المخلصون من أبناء العروبة في العمل والبذل والعطاء، يريدون أن يطووا مراحل التخلُّف، وأن يلتحقوا بالركب الحضاري العالمي.

وتأسَّس في بلاد الشام (في ٢٥ من ذي الحجة سنة ١٣٣٦ هـ - ٢ تشرين الأول ١٩١٨م) النادي العربي، يضم النخبةَ الطليعة التي كانت تجمع قواها وطاقاتها لتمضي بالأمة إلى تحقيق غاياتها في الحرية والوحدة والرقي بالوطن إلى مصافِّ الدول المتقدمة. وبين يدي وثيقة انتساب الدكتور سبح إلى النادي (في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٣٧ هـ - ١٠ شباط ١٩١٩ م)، وهي ترمز إلى ما كانت تتوق إليه نفس الفتى الشاب من تطلُّعٍ إلى الأمل العربي الباسم، وما كان يجيش في صدره من طموح لتحقيقه.

وحين غدر الفرنسيون غدرتهم المشؤومة في ميسلون (٢٤ تموز ١٩٢٠ م)، كان رحمه الله أحدَ ثلاثةٍ من الأطباء ذهبوا إلى ميدان المعركة لإنقاذ الجرحى وإسعاف المصابين والقيام بما يمليه الواجب الوطني، وشاهد بنفسه جثمان الشهيد البطل يوسف العظمة قد ضَمَّخ بدمه الطاهر أرضَ المعركة.

وبدأ الدكتور سبح يشق طريق حياته، وكانت حياةً خصبةً غنية في شتى الجوانب، فقد كُتب له أن يشهد عدة عهود: عهد العثمانيين، وعهد المملكة العربية، وعهد الانتداب، وعهد الاستقلال، وأن يتدرَّج في سُلَّم الأعمال والمراتب، ومرَّت به تجارب كثيرة يرفدها بصيرة نافذة وذكاء متوقِّد، فعمَّقَت معرفته بالحياة والناس.

وقد أهَّله علمه وخلقه وإخلاصه ليتولَّى أكرم المناصب العلمية وأرفعها، فكان عميد كلية الطب، ورئيس الجامعة السورية (جامعة دمشق الآن)، ورئيس مجمع اللغة العربية.

وتبسط بين يديك سيرة الدكتور سبح وتقلِّب صفحاتها فتطالعك صفاتُه بيِّنةً تأسرك بألقها وصدقها.

كان من أولئك الرهط الذين يعملون بصمت. رأى أن العِلْم أُولى الركائز التي يُبْنَى عليها استقلال الوطن وتقدمه وازدهاره، فعلَّم وتعلَّم طوال حياته. دخل سلك التدريس منذ عام ١٩٢٢ م، وطلب العلم في أوربا (نال شهادة الدكتوراه في الطب من جامعة لوزان سنة ١٩٢٥ م)، وقصد المؤسسات العلمية فيها مرارًا، وظلَّ على صلةٍ وثيقةٍ بها، وبدأ نشاطًا جادًّا فعَّالًا، لا يعرف الفتور ولا الكلال. ها هو ذا في قاعة الدرس يحاضر ويعلِّم طلابه، وهو في المستشفى يدرِّبهم ويأخذ بيدهم. ثم هو يؤلِّف لهم الكتبَ التي توسِّع معارفهم، وتُطلعهم على الجديد الحديث في عالم الطب، وينتقل بين مختلف البلدان العربية والأجنبية يزور الجامعات ومراكز العلم فيها، ويشهد المؤتمرات والندوات العلمية، ويشارك فيها، ويقدِّم خلاصةَ معارفه وتجاربه، ويتزوَّد بالنافع المفيد ليعود إلى بلده يحمل إليه من العلم والمعرفة خير زاد، ويواصل مقالاته في المجلات العلمية، ويحاور على صفحاتها زملاءه ابتغاء الحقيقة، واستجابة لمتطلبات البحث الجادِّ النَّزيه.

كان يؤمن إيمانًا عميقًا بأن العلم وسيلةُ التقدُّم والازدهار، وأنه لن يُنال إلا بالمثابرة والملازمة، فاندفع إليه بكل قواه، وجَعَلَهُ طَلِبَتَهُ ودَيْدَنَهُ في الحياة، ثم كان لا يتوقف عن حثِّ الشباب والخريجين لمتابعة العلم ومواصلة الدرس والبحث، وتتردَّد في كلماته التي كان

يلقيها في الخريجين وأضرابهم أمثال قوله يحفز الهمم وينصح: "أنْهَيْتُم دروسَكم الطبية... وخرجتم إلى ميدان العمل. إنكم تُخطئون إذا ظننتم أنكم أنهيتم التحصيل، وأغلقتم باب الدرس... إنكم قد أنهيتم تحصيلكم في هذه المدرسة، وبدأتم الدرس في مدرسةٍ ثانية، أعني مدرسة العالَم... وأمامكم الآن فحوص أخرى... وليس الفاحص أستاذكم، بل المريض الذي يأتيكم مستشفيًا، وستدوم هذه المدرسة مادامت الحياة. والخطا الواسعة التي يرغب كلُّ واحدٍ منكم أن يخطوها تكون بما أعدَّه لها من عدة، وما هذه العدة إلا بأمرين: الأخلاق الحميدة والعلم الصحيح، وقد قدمتُ الأخلاقَ على العلم، لأن العلم لا يجدي الطبيبَ نفعًا إذا كان خلوًا من الأخلاق، غير متحلٍّ بالفضيلة، فعليكم أولًا أن تتمسكوا بالفضيلة، وتتحلوا بالأخلاق الحميدة، وتجعلوا نصب عيونكم خدمة الإنسانية المتألمة، بدون تفريق بين الشعوب والأديان. لا تكونوا ماديين، ولا تسعوا إلى المادة... ساعدوا الفقير جهد طاقتكم. ارفقوا بالضعيف ولا تردوا طلب بائس... إنكم تعلمتم، ولا شك، الشيءَ الكثير، فإذا لم تثابروا على العلم جَفَّت معارفكم، ونضب مَعِين علمكم. عليكم بالاختصاص فهو سرُّ النجاح. انبذوا الكبرياء جانبًا، ولا تأنفوا من السؤال والاستفادة، بل عدُّوا أنفسَكم دائمًا تلامذة، واسألوا مَن كان أوسع منكم علمًا، واعلموا أن فوق كل ذي علمٍ عليم. (وقل ربي زدني علمًا).

تذكروا دائمًا قول ريكور المشهور: "إنني عرفتُ القرحةَ الإفرنجية لما شاهدتُ عشر قرحات، وبعد أن رأيتُ منها مئةً قَلَّت معرفتي بها، وأما الآن بعد أن شاهدتُ منها عشرة آلاف فلم أعد أعرف عنها شيئًا..."...

"أيها المجازون في هذه السنة، بعد قليل ستتسلَّمون شهاداتِكم المشعرةَ بانتهاء

دراستكم، وقد برحتم مقاعد الدرس إلى أمكنتكم في معترك الحياة.

ها إن حياة العمل تَفتح لكم بابَها على مصراعيه، فادخلوها آمنين، بعد أن أعددتم لها هذه العدة، وتزودتم بهذا الزاد... ولا يغرنَّكم ما أصبحتم حامليه من لقب، ولا تأخذنَّكم الخيلاء بما وصلتم إليه من مرتبة، فحياةُ العمل تتطلب جهدًا متواصلًا وإقدامًا، والجمع ما بين العلم والعمل... وعمَّا قريبٍ ستقطفون ثمار جهدكم في ربيع الحياة. والثمر يعود بعضُه على أشخاصكم وعلى أسركم، ويعود بعضُه الآخر، وهو الأهم، على وطنكم الذي يتلهف إلى رؤية أمثالكم ليخدموه بعلمٍ وإخلاص، وعلى أمتكم التي ترنو إليكم بعين ملؤها الأمل والرجاء...".

لقد عاش رحمه الله للعلم حياتَهُ كلَّها، يقرأ ليتعلَّم، ويعلِّم ويعمل، فكان النموذجَ القدوة، ولم يتوقَّف عن العطاء حتى لبَّى نداء ربه (في ٣١ كانون الأول عام ١٩٨٦ م). وقد قدَّم بين يديه خمسًا وستين سنةً من الدأب المتواصل، وخلَّف ثروةً علميةً باهرة، يكفي أن أشير منها إلى موسوعته العظيمة في علم الأمراض الباطنة بأجزائها السبعة، قضى في تأليفها اثنين وعشرين عامًا من العمل (١٣٥٤ - ١٣٧٦ هـ/ ١٩٣٥ - ١٩٥٦ م) يتتبع المصادر والمراجع الحديثة، لتكون المنهل العذب للواردين.

وكان رحمه الله مثلًا أعلى في المناصب الإدارية التي تولاها: جِدًّا وبذلًا ومتابعةً للتطوير والتقدُّم، وكان له من صفاته الطبية وشمائله الحميدة، وفي مقدمتها النَّزاهة والصدق والإنصاف والصراحة والإخلاص في العمل، ما أعانه على النجاح في تحقيق مشروعاته. وقد خلَّف وراءَه في هذا الجانب، آثارًا حِسَانًا تشهد بمقدرته وحنكته وحُسْن تصريفه للأمور.

ومما يعدُّ من حسنات الدكتور سبح، وحسناتُه كثيرة نعدُّ منها ولا نعدِّدها، ما قام به من جهودٍ تُذكر فتُشكر من أجل إنشاء مستشفى المواساة. وقد استطاع بما قدَّم وبَذَل، مع إخوانه المؤسِّسين الكرام في جمعية المواساة، أن يحقِّق نجاحًا كبيرًا، ونهضت هذه المؤسسةُ الصحية بواجبها في خدمة المواطنين. كان رحمه الله يرى ألاَّ بدَّ من تكاتف الشعب والحكومة وتعاونهما في تشييد المؤسسات الصحية والاجتماعية والتعليمية والثقافية، وأن علينا أن نجدِّد في هذا الباب رسومَ الأسلاف الصالحين الذين أنشؤوا معاهدَ العلم ودُورَ العجزة والمشافي وأمثالها، ووقفوها لتؤدي خدماتها للمواطنين عامة.

وكان من تقدير جمعية المواساة لأعماله الكبيرة أن اختارته رئيسًا للجمعية، يُشْرف عليها ويسدِّد خطاها حتى تم ضمُّ مستشفى المواساة إلى الجامعة السورية (جامعة دمشق الآن) عام ١٩٥٦ م. وظلَّ يتابع أمور المستشفى بعد ضمِّه، ويبدي، مع إخوانه الأعضاء الممثلين للجمعية في مجلس الإدارة، الآراءَ والنصائح لتطويره وتقدُّمه.

ويكاد يتفرَّد الدكتور سبح بما قام به في باب تعريب العلوم الطبية. لقد تخرَّج من كلية الطب والرايةُ العربيةُ المربعةُ الألوان ترفرف في السماء إيذانًا بزوال الحكم العثماني وقيام الدولة العربية. كانت الحماسة تملأ القلوب، والنفوس مشرئبةٌ للعمل والإصلاح والتقدم، وبدأت حركةُ التعريب تأخذ مداها: تعريب الدواوين والإدارة، وتعريب التعليم والتدريس، وكان الترك قد فَرَضُوا اللغةَ التركية على كلِّ المؤسسات الإدارية والعلمية والثقافية، واستطاعت الإرادةُ القومية والعزيمة الصادقة أن تذلِّل كلَّ الصعاب، وأنشأت الدولةُ المجمعَ العلمي العربي (٨/ ٦/ ١٩١٩ م) ليعزِّز مكانةَ العربية وينشر آدابها، ويعرِّب ما تحتاج إليه من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية. وما هي إلا عشية

وضحاها حتى عُرِّب كلُّ شيء، وبدأت اللغة العربية تستعيد مكانتها في الصحف والمدارس وإدارات الدولة وسائر مرافق الحياة.

وشهد الدكتور سبح عن قرب حركة التعريب الناشطة، وتبيَّنت له فوائدُها العلمية والقومية، وأدرك أنَّ تقدُّم الأمة وتقدُّم لغتها صِنْوانِ لا يفترقان، وكان اعتدادُه بلغة القرآن المنَزَّل لا حَدَّ له، فأشرع القلمَ ليشارك في هذه المهمة المقدسة: مهمة تعريب العلوم الطبية، وشارك المشاركة الجادة في وضع المصطلح العلمي. وكان لجهوده وكتاباته ومشاركاته أثرها الطيب في حركة التعريب وتطورها وتعزيزها، فتداعى زملاؤه في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية الآن) لاختياره عضوًا في مجمع الخالدين، وانضم إلى إخوانه في المجمع (٩/ ١/ ١٩٤٦ م) يواصلون المسيرة في إحياء التراث، وفي كل ما يؤدي إلى مواكبة العربية المُبِينة لمتطلبات العصر، وطواعيتها للتعبير عن دقائق المعاني والأفكار، ويعملون على توثيق الصلة بين ماضي الأمة وحاضرها، مما يحفظ عليها هويتها وشخصيتها، ويُهيِّئها للنهضة التي تستشرفها. وللدكتور سبح في باب التعريب والمصطلح كتاباتٌ كثيرةٌ على صفحات المجلات، ولاسيما مجلة المعهد الطبي العربي ومجلة مجمع اللغة العربية. وحَسْبه كتابُه (نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثيرة اللغات) التي زادت صفحاته على ألف صفحة، ومعجماتُ الألفاظ والمصطلحات الفنية للأمراض الملحقة بأجزاء كتابه العظيم الأمراض الباطنة، ومشاركتُه الجادة في المعجم الطبي الموحَّد.

آمن بالتعريب إيمانًا لا حدود له، ورأى ألاَّ بدَّ للأمة العربية من خدمة لسانها خدمةً تجعله لغة العلم المتداولة ولغة الحياة ولغة الناس في أسواقهم وأخبارهم، فلغةُ الأمة حياتُها، ودليلُ حيويتها وبقائها، بل رمز وجودها. يقول في مؤتمر القاهرة الطبي: "واللغة... ومن

ورائها وحدة الثقافة هما الأساس المكين الذي ينبغي أن يُبنى عليه صرحُ الوحدة العربية المنشودة. وإذا تركنا نحن معاشر الأطباء أمر تحقيق هذه الأمنية الغالية [أي الوحدة العربية] إلى الزمن وإلى رجال السياسة، فعلينا واجب تمهيدي نكون مسؤولين أمام الله والتاريخ والأجيال المقبلة إذا لم نشمِّر عن ساعد الجد لتحقيقه، أعني به توحيدَ الثقافة وإحلالَ لغتنا العزيزة المكان اللائق بها... والناطقون بالعربية قوم واحد مهما اختلفوا في المنشأ والسلالة ومسقط الرأس".

وانتُخب الدكتور سبح رئيسًا للمجمع في عام ١٩٦٨ تقديرًا لعلمه الواسع وكفاياته، وجليل خدماته لمجتمعه، وإكبارًا لمزاياه الكريمة وسجاياه الحميدة. وأعاد إخوانُه انتخابَه رئيسًا للمجمع مرةً إثرَ مرة، حبًّا له، واعتزازًا بما قدَّم وأنجز، وظلَّ الأستاذُ رئيسَ المجمع الموقر حتى وافاه الأجل (في ٣١/ ٢١/ ١٩٨٦ م) أوفر ما كان نشاطًا، وأكثر ما كان بذلًا وعطاء.

ولقد عَمِلَ الكثيرَ في أثناء رئاسته من أجل تطوير المجمع ليستجيب للمتطلبات المتجددة، وسعى من أجل إقامة التعاون الوثيق بينه وبين المؤسسات العلمية واللغوية في سورية وفي البلاد العربية والإسلامية والأجنبية، وأثمرت جهوده في إقامة بناء المجمع الحالي، وفي توسيع ملاك المجمع، ورفع سقوف الوظائف العلمية والإدارية فيه حتى وازت أعلى الوظائف في ملاكات الدولة. كما أنه قام بأخرةٍ بتقديم مشروعٍ جديدٍ لنظام المجمع يلبي حاجاته، ويسعفه ليؤدي مهمته في خدمة العربية على أحسن الوجوه وأتمها.

وإنَّ سِنِيَّهُ الواحدة والأربعين التي قضاها في المجمع، وإنَّ سِنِيَّهُ الثماني عشرة التي

قضاها في رئاسته لتشهد له بجليل ما قام به لتكون العربيةُ لغةَ العلم في جامعات الوطن العربي ومؤسَّساته العلمية العالية. وكان له السعي الحثيث الموفَّق لتوحيد المصطلح العلمي، وللكتابة العلمية بأسلوبٍ سهلٍ ميسَّر.

ونَعِمَ الشيخُ بالتقدير اعترافًا بما قام به، فكرَّمه المخلصون من علماء الأمة، وعَرَفت المؤسساتُ العلمية فَضْلَه ومكانته، فكان عضوًا في المجامع اللغوية العربية، وكان المقدَّمَ في المؤتمرات العلمية والدولية، وكان الرجل الأول في لجان تعريب العلوم الطبية، يَئِلون إليه، وينهلون من علمه، ويأخذون برأيه. وقد حاز أعلى الأوسمة وأرفعها جزاء ما عمل.

رحم اللهُ الفقيدَ الغالي، فقد خلَّف وراءه فراغًا لا يُملأ، ووفَّاه أجره جزاء ما قَدَّم وبَذَل، (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله)، (إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب).

كلمة الدكتور برهان العابد في حفل تأبين

الأستاذ الدكتور حسني سبح

(الأحد في ٢٢/ ٢/ ١٩٨٧)

أيها الحفل الكريم..

يشرفني أن أنتسب إلى أحد الأجيال التي نشأت في كنف صرحٍ كان فقيدُنا وأستاذنا الكبير الدكتور حسني سبح أحدَ بُناتِهِ، ومن أبرز الأئمة الأبرار الذين اقتدت بهم الآلاف من شباب العرب الذين أمُّوا هذا البلد ونَهلوا من ينابيع معارفه.

لقد هيَّأت الأقدارُ لهذه الأمة عصبةً خيِّرةً من أبنائها حَمَّلتهم رسالةَ إحياء حضارة وبَعْث تراثٍ وإيقاظ نيام، فحَمَلوا الرسالةَ وبلَّغوا الأمانة وتواصوا بالصبر حتى ارتفع بنيان صنع الرجال راسخًا شامخًا نحو العلاء.

لقد قام هذا الصرح على أكتاف فئةٍ قليلة العدد لا تملك من أسباب النجاح في مهمتها إلا العقيدة الصادقة والسواعد المفتولة وتصميمًا عنيدًا على بلوغ الغاية وتحقيق الأرب. يتصف شيوخنا الرواد، ومنهم أستاذنا الكبير بكل ما يتصف به الحكماء والأئمة الصالحون: صبرٌ عجيب، وإيمانٌ راسخ، وتضحيةٌ بالنفس والنفيس في سبيل تحقيق الغاية والوصول إلى الهدف.

لقد وَرِثَ أساتذتنا الأعلام عن الترك هيكلًا لمدرسةٍ طبيةٍ هزيلةٍ تحوَّلت بفضل

جهدهم المستمر وبسنواتٍ قليلة إلى مركزٍ للإشعاع العلمي ومستنبتٍ أنبتَ خيرةَ الأجيال. وعلى الرغم من ضعف إرثه العلمي وضآلة موارده المادية ومضايقات السلطة الحاكمة الغريبة، فقد استطاع نشر روح البحث العلمي والثقافة الجامعية الأصيلة بين أفراده الذين عَمِلُوا على استخراج كنوز إرثنا الحضاري العلمي من مخابئها في بطون الموسوعات المنسيَّة والمخطوطات التي كادت تمحوها السنون.

فعلى صفحاتِ مجلة المعهد الطبي العربي التي أسَّسها الأستاذ مرشد خاطر – طيَّب الله ثراه – نماذجُ رائعةٌ من التحقيق في اللغة والتاريخ والمصطلحات ومحاولاتٌ جادَّةٌ لوصلِ الحاضر بالماضي، مما مهَّد السبيل لولادة عهدٍ جديد يبشِّر ببعث حركةٍ علميةٍ أصيلة تعيد إلى الأذهان ذكرى حلقات صناعة الطب التي ازدهرت في عهد الدولتين النورية والأيوبية على يد رضي الدين الرحبي وموفق الدين ابن المطران والدخوار مهذب الدين عبد الرحيم وعبد اللطيف البغدادي وابن النفيس ومجالسهم في البيمارستان النوري التي خلَّدها ابن أبي أصيبعة في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء).

وقد امتلأت صفحات المجلة منذ منتصف العشرينيات بمقالاتٍ وبحوثٍ لأستاذنا الفقيد نَمَّت وحافظت على بقاء روح البحث العلمي حيًّا متأجِّجًا في كيانها.

لقد سَبَقَ الرعيلُ الأول من أساتذتنا الأبرار عصرَه، وزاحمَ الزمن، وأشاعَ التقاليدَ الجامعية الأصيلة المنتجة في صفوف أبنائه كحب النظام وتقديس الحرية الفكرية واحترام رأي الآخر وحقه وإشاعة التسامح والتعاون وغيرها من القيم التي غرسها في سلوك الجيل الجديد الذي يسعى إلى تحقيق المثل العليا.

بهذه المُثُل آمن أستاذنا الفقيد، ومن أجلها قضى حياته التي كان الدأب والجد والزهد والمثابرة أبرز صفاتها. لقد كان نمطًا فريدًا من نوعه في دقة البحث ومتابعة التحصيل لا يهنأ له عيش إلا بين طلابه وحول أسِرَّة مرضاه. وكانت حصيلة هذا السلوك، الذي لا يقوى على احتماله إلا الزهَّاد والرهبان، احترامًا وتبجيلًا من طلابه وثقةً لا تتزعزع من مرضاه. فخلال خمسةٍ وستين عامًا لم يستطع أيُّ ممارسٍ أو اختصاصي زحزحةَ حسني سبح الطبيب من مكان القمة الذي تربَّع عليه بين الأطباء الداخليين. ولم يكن ذلك نتيجة مصادفة أو ضربًا من ضروب الحظ، ولكنه ثمرة جهدٍ طويل وتعبٍ وإخلاصٍ في القول والعمل؛ فالناس لا يمنحون احترامهم وثقتهم عفوًا وبالمجان، ولكن بعد تجربةٍ طويلةٍ وامتحانٍ قاسٍ لا ينجح فيه إلاَّ مَن كان أهلًا للثقة وجديرًا بالاحترام.

إن إيمان الفقيد الراحل بالعمل المثمر تجلَّى بأحلى معانيه عندما أسَّس جمعية المواساة التي بَنَت المستشفى الذي يعتبر من أكبر مؤسساتنا الصحية. أسَّسه مع نخبةٍ كبيرةٍ من رجالات هذا البلد عندما كانت الدولة مشغولةً في معركة التحرير والخلاص من الأجنبي المحتلّ. ومن أبرز صفات أستاذنا الجليل زهدُهُ بالمناصب وابتعادُه عن أجوائها. ما عُرِف عنه سعيٌ لنيل حظوةٍ عند حاكمٍ أو منْزلة عند صاحب سلطان، وإنَّا على مثل اليقين بأنه حُمِلَ على قبول رئاسة الجامعة حملًا، ودُفع نحو عمادة كلية الطب دفعًا.

في صباح يوم عبوس من أيام الشتاء الباردة انقطع فجأة عن مساره من البيت إلى العيادة ومجمع اللغة العربية، إنسانٌ فذٌّ قضى سبعين عامًا لا يتخلَّف عن مساره المنظوم يومًا واحدًا كأنه الكوكب يجري في مداره على نسقٍ معلوم.

إنه رجلٌ لا يشبه أبناء جيله ولا محيطه، فقد تميَّز بنشاطٍ عجيب ودأبٍ لا يعرف الكلال وتواضع جَمٍّ وتجنُّبٍ للأضواء والإعلان، كما عُرِف بتقديس الواجب وإعطاء الأمثولة والشعور بنبل الرسالة التي يحملها في زمنٍ أحوج ما تكون فيه أمتنا للقفز واجتياز العقبات.

كان أستاذنا الراحل يؤمن بالعمل ويحسن أداءه. تعلَّم الطب باللغة التركية، ثم أصبح بِجِدِّه وتحصيله أحد خمسةٍ من المدافعين عن العربية كلغةٍ للعلوم مع: خاطر والخياط والخاني والكواكبي رحمهم الله، كما أقام البرهان أمام العالَـم العربي كلِّه على أصالة لغتنا وقدرتها على استيعاب العلوم وتمثُّلها.

لقد كان من الجيل الذي آمن بأن دخول العرب العصرَ الحديث وهضم حضارة الزمن والسير في مواكبه لا يتم إلا بوسيلة وحيدة هي أن تكون لغتنا العربية أداتنا لبلوغ الهدف. كما فعل جدودنا الميامين في فجر الحضارة العربية عندما نقلوا علوم اليونان وفارس إلى العربية وطوَّروها بلغتهم.

ولقد اجتمع رأي أبنائه قبل أحفاده وأنا منهم، أن الأستاذ سبح رحمه الله هو أول أستاذ اعتمد الأسلوب العلمي في جمع وتحليل الأعراض والعلامات واستعمل قبل الجميع الفحوص المخبرية وسيلةً للتشخيص في قاعات مشفى الغرباء.

وقد سمعت من أحد أساتذتنا الرواد القدامى ممن عاصر الرعيل الأول بأن الجيل الذي سبق أستاذنا الراحل كان يفاخر في قاعات المستشفى قائلًا بأن مجرَّد النظر إلى سحنة المريض ووضعيته على السرير كافية لتشخيص مرضه دون إجراءِ أيِّ فحصٍ أو استجواب، مقلِّدين بذلك ما عُرِف عن أبقراط من اعتماده هذه الطريقة للتشخيص ووصف العلاج قبل خمسةٍ

وعشرين قرنًا، فكان أحدهم يتصوَّر بأنه يستطيع تشخيص فقر الدم وتشمُّع الكبد والتهاب الكلى وقصور القلب من النظرة العابرة يوم كانت الخبرة الطبية والمهارة مقرونةً بالترفُّع وقلَّة الكلام.

ففي تلك الأيام غير القديمة من عمر الزمن برز روَّادٌ من الشباب النيِّري العقول من بينهم أستاذنا الراحل وفرضوا التفكير العلمي والمنهجية العقلانية في دروسهم وتآليفهم وتراجمهم، وكانت حصيلة جهوده مكتبة كاملة من المراجع في الطب الباطني ككتاب علم الأمراض الباطنة، الذي أتى في سبع مجلَّدات، ومبادئ الأمراض الباطنة، ومبحث الأعراض والتشخيص، وفلسفة الطب، وعدد من المعاجم الخاصة بالمصطلحات الفنية وأمراض الجملة العصبية، والأمراض الإنتانية، وأمراض جهاز التنفس، وكان آخرها نظرة في معجم المصطلحات الطبية، وهو سِفرٌ تزيد صفحاته على الألف، سيظلُّ مرجعًا غنيًّا لا بدَّ من اعتماده والرجوع إليه لكل مَن يتصدَّى للعمل في مجال المصطلحات العلمية مهما كان موضوعها، ولا أقول شيئًا عن العدد الهائل من المقالات العلمية والبحوث الطبية التي نشرت وضمتها صفحات مجلة المعهد الطبي العربي ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق وغيرها.

ولعل من أبرز آثاره الخالدة وأهمها اشتراكه في وضع المعجم الطبي الموحَّد الذي رسَّخ أُسس اللغة الطبية المشتركة بين جميع الناطقين بالضاد. فقد اتفق – للمرة الأولى – في تاريخنا الحديث علماء من البلدان العربية كافة وبعد اجتماعاتٍ دامت ما يزيد على عشر سنوات أصدروا معجمًا لمصطلحات العلوم الطبية ينهل منه وينسج على منواله كلُّ غيورٍ على لغته وكلُّ حريصٍ على نشرها أداةً للتعبير في مجال الطب وعلومه، وليس من الصعب أبدًا أن

يكتشف المرء في كلِّ صفحةٍ من صفحاته وكلِّ سطرٍ من سطوره جرس وأصداء الكلمات التي كنا نسمعها من فم أستاذنا الراحل في دروسه السريرية وأثناء محاضراته، فإن جهده الشخصي في هذا المعجم بالذات واضحٌ وضوح الشمس في رابعة النهار. أما نشاطاته المجمعية وإنتاجه الضخم ومشاركته الشخصية في كلِّ مجامع اللغة في البلدان العربية، فقد سمعتم عنها ممن هم أبلغ مني لسانًا وأجلى بيانًا.

لقد تجلَّى التقدير الرسميُّ لمواهب أستاذنا الراحل بالعدد الكبير من الأوسمة التي منحتها له كثيرٌ من الدول والممالك والتي لا تعادل شيئًا أمام أوسمة الحب والاحترام والتقدير التي علَّقها على صدره الآلاف من مرضاه وطلابه الذين أفادوا من علمه وخبرته وجعلوه نبراسًا لهم في الدأب ومتابعة الدرس والتحصيل. فإذا كان عمر الإنسان يقاس بما يخلِّف من آثار وبما يسهم به في تقدُّم المعرفة ورفع بنيان حضارة أمته والإنسانية، فإن حياة أستاذنا حسني سبح تعادل مدرسةً كاملةً بما خلَّفت من إنتاجٍ غزير رائد وزادٍ وفير لعقول الأجيال القادمة.

وإني باسم أجيال الأحفاد من تلاميذه أنحني إجلالًا واحترامًا أمام ذكراه راجيًا من الله تعالى أن يُحْسن ثوابه في آخرته، كما أحسن إلينا في دنياه.

الدكتور سبح والمعهد الطبي العربي

الأستاذ سعيد الأفغاني

كلمةٌ تأبينية، ألقاها الأستاذ الأفغاني في المؤتمر السنوي السابع والخمسين لمجمع اللغة العربية في القاهرة في الجلسة السابعة صباح الأحد ٢ شعبان ١٤١١ هـ الموافق لـ ١٧ شباط ١٩٩١ م.

سُعدتُ ورَحَّبت بتكليفي بالكلام على سلفي العضو الجليل الراحل، الدكتور حسني سبح، أستاذ الأمراض الباطنية وسريرياتها في الجامعة السورية، ثم انتُخب عميدًا لكلية الطب فيها، ثم رئيسًا للجامعة السورية، صاحب المؤلَّفات الطبية الجليلة، والمعجمات في مصطلحاتها. اغتبطتُ بزمالته في الجامعة سنة ١٩٤٨م، ثم بصداقته البارَّة أربعين سنةً كان فيهنَّ ملهج الألسنة بمناقبه ومآثره.

تاريخ الراحل العزيز هو تاريخ (معهد الطب العربي) بدمشق منذ إنشائه سنة ١٩١٩م أيام العهد العربي الفيصلي إلى اليوم. وتاريخ هذا التأسيس، هو تاريخ نضال العرب في الشام بكل طبقاتهم من عامةٍ ومتعلِّمين؛ فما كادت ترحل الدولة التركية آخر الحرب العالمية الأولى، حتى كنتَ ترى حياةَ الشاميين حياة حماسة وجَيَشان. كلُّ فردٍ يريد الإسهام في تأسيس حكمٍ عربي سليم بما يستطيع.

لم يكن القائمون على تأسيس الجامعة، بدءًا بمدرسة الحقوق ومدرسة الطب إلا من قادة الشعب في نهضته، غمرتهم روحٌ قوية مناضلة في سبيل تعريب التعليم الجامعي، والنهوض به بعزائم لا تكلّ، حتى استوى قائمًا على رجليه، والسر هو فيما غمر قلوبهم من إيمان لا يتزعزع بالعودة إلى أصولهم، ومعرفة (من هم؟) في التاريخ الحضاري البشري يوم كانوا قادة العالَـم ومعلِّميه.

أما أساتذتهم الشيوخ، فقد تخرَّجوا في معاهد تركية؛ فلما كان الحكم العربي – سقى الله أيامه – قَلَبَ مؤسِّسوه لغةَ الدولة بجرَّة قلم، وهبَّ جميعُ المسؤولين في أجهزة الدولة، يُقْبِلون على دروسٍ خاصة في اللغة العربية، إضافةً إلى أعبائهم الرسمية والتدريسية، وموَّنتهم الدولةُ العربية بدروسٍ ليلية في الفصحى، يحاولون الكلام بها ما استطاعوا، خالطيها بما غلبهم من اللهجة العامية، واستمرُّوا بإرادةٍ قوية وعزيمة تنطلق ولا تتراجع. وكان إلى جانبهم زملاءُ أقوياء يساعدونهم، فلم تمضِ سنواتٌ حتى أخذ العبءَ عن كاهل أولئك الشيوخ سواعدُ قوية آمنت بعربيتها إيمانَها بدينها، وحتى أصبحت عربيةُ العِلم في الجامعة السورية مثلًا يُحتذى، فكان فقيدُنا سبح أحدَهم.

لم يخلُ طريق هؤلاء المؤمنين الشبان من المثبِّطين طلائع الاحتلال الأجنبي ومثبِّتي دعائمه فيما بعد، لم يخلُ من الوعورة والعقبات. وأمضى سلاحٍ هدَّام في أيديهم كان سلاح التشكيك واستحالة الأمر، وعدم صلاح العربية لغةً للعلم. وأوحى الأجانب المحتلون في الساحل إلى عملائهم في الداخل في الميادين المختلفة، في المدارس والصحف والإدارات، والإرساليات الأجنبية، أوحَوْا إليهم بتقويض العزائم وثنيها عمَّا فرغت أنفسها له، وبثُّوا تساؤلاتٍ وشكوكًا وتفاصيلَ تودي بإيمان الضعفاء من الأنصار مثل: كيف تصلح لغةُ

البداة للتعبير عن مكتشفات القرن العشرين ومخترعاته؟ نبغاء العلماء في البلاد الأجنبية في الطب والحقوق والهندسة والآليات لا يُحصَوْن، فما عندنا نحن؟

هبنا درَّسْنا الطبَّ بالعربية، فكيف بمتابعة ما يجدُّ في هذه العلوم لمن لم يدرسها في الأصل بالفرنسية أو الألمانية؟ لغة سيبويه لا تصلح صلاح لغات لافوازيه وباستور وكوخ... إلى آخر ما هناك من شُبَهٍ وأباطيل تودي بحجج أقوى أنصار التعريب... لولا أن إيمانًا لا يتزعزع في قلوب الرعيل المؤسِّس الذين لم يبالوا بما يثار حولهم من غبار وجدال، ولا تهكُّم ولا تثبيط، ومضوا يبصرون مواطئ أقدامهم، إلى هدفهم الذي آمنوا بسداده، عاملين جادين، يُسْلمهم فتحٌ إلى فتح. ثم كان الاحتلال الفرنسي بعد معركة ميسلون، وأراد أن يوقر في الصدور ما بثَّ أبواقُه الذين سبقوه: أن التعليم العالي بالعربية خرافة، فأثبتت عزائمُ هؤلاء المؤمنين الأساتذة أن دعاوى الهدَّامين هي الخرافة، وأضحكوا بعملهم الناجح جماهير الناس من محاولات المحتلين القديمة. ستون عامًا وكلية الطب ماضيةٌ في إثراء اللغة العربية، بمؤلفاتهم العلمية، ومعاجمهم الفنية والعلمية العربية، كلٌّ فنٍّ له أساتذته ومَراجعه العربية ومصطلحاته العربية التي وُضعت مقابلات لمثيلاتها الأجنبية، ولفقيدنا الراحل الدكتور سبح العدد الوافر منها ناطقةً بما قدَّموا من آثار باقيات.

إن فهرسًا لمطبوعات كلية الطب بالجامعة السورية بين سنتي ١٩٣٢-١٩٥٧م قد سجَّل لها أجلَّ الأعمال: «فقد نيَّفتْ على السبعين، طُبعت كلُّها في مطبعة جامعة دمشق فقط، جاوز مؤلِّفوها الأربعين أستاذًا، وكثيرٌ من هذه الكتب ينتهي بمعجم للمصطلحات باللغة العربية إزاء مصطلحاتها الأجنبية، وانتشرت في جزيرة العرب والأردن والعراق ومناطق الخليج العربي حيث شغل الأطباء السوريون خريجو هذه الجامعة مناصب في إدارات

الصحة والتدريس».

ثم سَمَتْ هِمَمُ الطامحين من الرعيل الأول المؤمن بلغته وعلمه وأمته، فأرادوا أن يكون للغة العربية معجم شامل للمصطلحات الطبية... على اختلاف فنونها كما لغيرها من كبريات اللغات الحية، فعمدوا إلى معجم المصطلحات الطبية بالفرنسية لـ (كليرفيل)، فعكف على ترجمته ثلاثةٌ من أجلة أساتذة الطب هم: أحمد حمدي الخياط، ومحمد صلاح الدين الكواكبي، ومرشد خاطر، وامتد دأبهم على ذلك سنين حتى أنجزوه، ثم طبعوه في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٦٠م.

ثم أنشأ فريقٌ منهم على رأسهم الطبيب مرشد خاطر (مجلة المعهد الطبي العربي) التي تولَّى المعهدُ إصدارها، فصدر منها ٢١ مجلدًا بين سنتي ١٩٢٤ و ١٩٤٧ م.

وغني عن البيان أن نشير إلى اللغة المشرقة لهذه المجلة في رصانتها وعلميتها وعربية مصطلحاتها، وحسبك منها سهولة لغتها وسلاستها وسلامتها. وفي بحوثها الجليلة النافعة آلاف المصطلحات بالعربية الواضحة المبينة.

إن معهد الطب العربي ومجلته قلعتان من قلاع العربية، وإن الذين قاموا عليهما كانوا هم والعربية الفصحى كما قال الأعشى:

رضيعي لبان ثدْي أمٍّ تقاسما بأسحم داجٍ عَوْضُ لا نتفرَّق

وبهذا لا يكون من المبالغة في شيءٍ قول الدكتور العالم الأمين شوكة موفق الشطي حين أرَّخ لهذا المعهد، العربي لغةً وروحًا: «إن رجال المعهد الطبي العربي بمجلتهم ومؤلَّفاتهم ومقالاتهم، قاموا بنهضةٍ لغويةٍ تبعها انتصار اللغة العربية في عالم العرب وبلاده الشاسعة...

إن الجامعةَ السورية باعثةُ اللغة العلمية العربية، ولئن كان ثالوث الكلية الأمريكية في لبنان: [فانريك، وبوست، وورتبات] له فضلٌ غير منكور في خدمة اللغة آخر القرن التاسع عشر، إن هذا الفضل قضى عليه روح التبشير والاستعمار الأمريكيين، حتى قلبوا لغة التعليم فيها إلى اللغة الإنكليزية، فبعث الله ثالوثًا أقوى عزيمةً وإخلاصًا، وتفانيًا في بلاد الشام في القرن العشرين، عنيت به دعائم النهضة العربية اللغوية في المعهد الطبي العربي، الثلاثة الأجلاء: أحمد حمدي الخياط، ومحمد جميل الخاني، ومرشد خاطر؛ فقد كتب الله لعملهم المنظم المستمر، حياةً وانتشارًا إلى سائر الأقطار العربية، فلنا بفضلهم وفضل زملائهم وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم لغة علمية عربية سليمة واضحة...».

«وما أسهم أساتيذه فيه من البحوث المبتكرة في الأمراض المستوطنة كالبرداء والزحار، وتشمُّعات الكبد، والتهاباتها الأميبية، وأشكال الإفرنجي العصبي، والتهابات الأعصاب العديدة التالية للمعالجة المصلية، وما إلى ذلك من البحوث الكثيرة... قد تناقلته مجلات الغرب الطبية».

هذا التاريخ كلُّه شارك فيه الدكتور سبح فتيًّا وشابًّا وكهلًا، وشيخًا في همة الشباب، ما فترت حماسته ولا غاب فيه عن معترك. حتى العام الذي توفي فيه، عام ١٩٨٦، لم يغب - كعادته - عن مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة. وقد يَعرف زملاؤه الأجلاء العرب والأجانب أنه كان يقضي لياليه عاكفًا على جداول المصطلحات التي ستناقش ضحى هذه الليالي، يدرسها ويدوِّن ملاحظاته التي تكون موضع عناية المختصين من زملائه الأعضاء.

مآثرُ الفقيد كثيرةٌ مشهورة، في علمه وأدبه، وإخلاصه في التزامه بالواجب عليه دارسًا

ومدرِّسًا، عربي الروح إنساني النزعة، مخلصًا لاختصاصه، متابعًا لما يجدّ فيه، راحلًا كلَّ صيفٍ إلى أوربة إلا أن يعوقه عائق، زائرًا معاهدها الطبية، ومشافيها ومكاتب النابهين من علمائها العالميين، متتبعًا المجلات الاختصاصية، مشتركًا في بعضها، وبعد هذا التزوُّد مجتهدًا بأناة وروية في تآليفه العلمية، ناقلًا هذا الزاد الوافر إلى المكتبة العربية، وإلى طلابه وزملائه في الميادين النظرية والعملية. وإن جاز أن ننسى شيئًا من التفاصيل فلن ننسى ذلك الصرح الشامخ الذي تعهَّده منذ كان فكرةً في أذهان أهل الخير من علية القوم، حين سمعوا منه مرحِّبين، إلى أن وضع أساسه وإلى أن سما وبسق وآتى أكله، ذلك هو (مستشفى المواساة) في أنزه مكان بدمشق، جعله يموج بالنشاط والحركة واستقبال المرضى ورحيل المعافَيْن، يَعجُّ بالأطباء المعالجين المتخصصين ليل نهار، لا يدخله داخل إلا دعا لكل مَن أسهم فيه بجهد أو مال من المحسنين. وكان الدكتور سبح روح هذه المسعاة الخيِّرة، ومديرها والساهر عليها، فلما تمت اكتمالًا وأجهزة، ورضي عن سير العمل فيها، خاف عليها وأراد لها الدوام، حَمَلَ لجنتَها على تسليمها إلى الجامعة، وتمَّ ذلك بعد سنين، ولم ينقطع المسؤولون عن الاستفادة منه حتى توفاه الله مطمئنًّا إلى خلود المشروع، قرير العين سعيد النفس بازدهاره واستمرار النفع منه.

أعمال الفقيد كلها تمضي بهدوء وصمت، هذا هو مزاجه، بعيد عن الدعاية والضجة والمظاهر، لا يشعر الغريب عن الموضوع بأنه أمام رئيس يلفت النظر، واعٍ لكلِّ صغيرةٍ وكبيرة، حارس بصير في عمله. انتُخب عميدًا لكلية الطب بعد عميدٍ سابق مغاير له، فوجد في درج مكتبه ملفًا (إضبارة) فيه عقد بين كلية الطب وشركة فرنسية تزوِّد الكلية بما تحتاج إليه من أجهزة حديثة وما إليها، ومبلغ العقد نحو مئة وعشرين ألف ليرة سورية، لم يبق

لإنفاذ العقد إلا توقيع العميد. درس الدكتور سبح العقد بإمعان – وكان ذا خبرة دقيقة في الأجهزة وأسعارها حصل عليها في أسفاره إلى أماكنها، ووجوده في اللجان التي تؤلفها الكلية – فرابه فيه شيء؛ فلما دخل وكيل الشركة ليأخذ التوقيع رفض الدكتور إنفاذ العقد، فتداول هو والوكيل الأمر، فوجد الوكيل أن هذا العميد لا يُخدع، ولم تزل المفاوضة حتى استطاع الدكتور سبح إنزال المبلغ إلى تسعين ألفًا، وردَّ على الكلية ثلاثين ألفًا في مجلس واحد.

ويذكرون في مآثره الإدارية أن دستوره في سيرته الوظيفية كسيرته أستاذًا: استقامة وصراحة؛ إذا لم يُلبِّ طلبك لم يتعبك، بل يفاجئك باعتذاره في كل أمر غير سوي، ولا تخرج من مجلسه إلا مقتنعًا أن الحق معه إذا كنتَ منصفًا، فتخرج راضيًا، على حين أن كثيرًا من المسؤولين يحرصون على (شعبية يظنونها من حسن الإدارة) فيحسنون الاستقبال والكلام المعسول وبذل الوعود، وبعد عدد من الزيارات والوعود يلقونك بأسفهم الشديد بعد بذل جميع الجهود والعجز عن تلبية الطلب.

ومما عُرِف عنه تقيُّده بإنفاذ مواعيده بدقة، وأنه قد خطَّط جدول أعماله اليومية المختلفة، يؤديها في أوقاتها المحددة، وكان يحدث أصحابه ببركة هذا الالتزام على أعماله، ولولاه ما استطاع الوفاء بالواجب عليه في مؤلَّفاته الضخام وبحوثه للمؤتمرات، ومقالاته التي يعد بها المجلات العلمية وغيرها، وإدارته للمؤسسات التي يشرف عليها، إذ كان حركة مستمرة منتظمة متروية.

يشهد له خلصاؤه وغيرهم بمنقبة حُسن العهد؛ لا يلمّ بأحدهم مرض فيعالجه إلا

انتظمت زيارات الدكتور له على غير العادة، يتعهد سير العلاج، ولا يقطعها حتى يطمئن إلى شفائه، زميلاً أو غير زميل، ذاكرًا الحديث الشريف: «إن حسن العهد من الإيمان». رواه الحاكم في مستدركه.

وله إلى ذلك أعمال خيرية في السر، لا يدري بها أحد إلا أن يبوح بها مَن نالها.

وما لي لا أذكر الأطباء الناجحين الذين خرَّجهم فاقتدوا به في تزوُّدهم في اختصاصاتهم، وجعلوه أسوتهم في سيرتهم العلمية والعملية؟ إن طلاب الأستاذ المرموق هم أيضًا من مآثره ومؤلفاته المسعدة لنفسه، كلما تذكر جهوده في تنشئتهم شكر ربه على توفيقه له، وهم من حسناته الجارية ما انتفع بهم الناس وبمؤلفاتهم.

وأحرُّ ما وقع في نفسي أحسن موقع، ولم يبق اليوم مَن يهتمّ له، حديثٌ حدثنيه وقد جاوز الثمانين، موقف قلَّ مَن يقوم بمثله اليوم، وقد كان يقفه أكثر الشبان المتدفقين حماسة في أداء الواجب عليهم في سنوات التأسيس في العشرينيات من هذا القرن:

أرسل إليه رئيسُ جامعةٍ عربية في قطرٍ شقيق رسالةً في أمرٍ هام عام، أرسلها باللغة الإنكليزية، فامتعض، وردَّ إليه هذا في الجواب: «أنت عربي من قطرٍ عربي وفي جامعةٍ لغتها الرسمية هي العربية، وأنا كذلك؛ فتفضل واكتب إليَّ بالعربية لغة بلادك وبلادي في حكم الدستور». لقد فاته أنه الآن في سنِّ الشباب وتدفقه وغليانه، ولم يفارق روح الشباب وهو يناضل في سبيل لغته وسمعة جامعته، وكذلك شأن الرجال الحميين الحمسين لمقدساتهم. ختم شيخوخته في الثمانينيات بمثل النخوة التي ناضل فيها الأعداء في سنه العشرين وهو فتًى غض الإهاب، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب ٢٣].

نسأل الله لفقيد الجامعات والمجامع العربية الدكتور حسني سبح، الرضوان والكرامة، ومقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، كما أسأله لهذا المجمع الكريم الازدهار والنجح والتوفيق في خدمة اللغة العربية، وهو ملبٍّ دعاءنا ما أخلصنا والتزمنا ما عاهدناه عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ذكرياتي عن الأستاذ الدكتور حسني سبح

بقلم: د. صادق فرعون

كنتُ قد رويتُ ذكرياتي عن بعض أساتذة كلية الطب بدمشق: قنواتي وبرمدا والعظمة، وهاأنذا تعود بي الذاكرة إلى بداية الخمسينيات حينما كنت طالبًا في السنة الثالثة من كلية الطب فيدخل علينا الأستاذ الدكتور حسني سبح، أستاذ الأمراض الداخلية ولا سيما الأمراض العصبية. عرفنا عنه أنه دَرَسَ الطب في بداية التحاقه بالمكتب الطبي العثماني بدمشق باللغة التركية، ثم ما لبث المكتب أن انتقلَ إلى بيروت حيث تبعه طالب تلك الأيام، ولما حطَّت الحربُ العالمية الأولى أوزارها أُعيد الطلاب إلى دمشق ليتابعوا دراستهم باللغة العربية فيما سُمّي بـ (المكتب الطبي العربي) أيام الحكومة الفيصلية، وكان يقع في الصالحية أمام المشفى الإيطالي حاليًّا ومكان مدرسة (جول جمّال).

سافر بعد تخرجه إلى فرنسا وسويسرا ليتابع دراستَه وتخصُّصه، ثم عاد ليدخل سلكَ التعليم الجامعي حيث ترقَّى إلى رتبة الأستاذية، وبعدها صار عميدًا لكلية الطب ورئيسًا لجامعة دمشق عددًا من السنوات.

منذ أول محاضرةٍ حضرناها له أدركْنا أننا كنا بحضرة أستاذٍ مُجدٍّ ومتابعٍ للمعارف الطبية، وأنه يجهد لكي يعطينا أفضل ما عنده من معارف. أذكر أنني سألتُه عن مصادر فرنسية للطب الداخلي فذكر لي بعضَها، ثم قال لي ببساطة وعفوية أنه بدأ يَدرس اللغةَ الإنكليزية ويطالع بها لأنها غدت اللغة الأولى في العلوم عامة، والطب خاصة، ثم أعطاني

عنوان كتابٍ مرجعي هو (كتاب أكسفورد للطب الباطني)، وشجَّعني على اقتنائه، وهو ما فعلته، فصرتُ أدرس الأمراض الداخلية باللغتين العربية والإنكليزية، علمًا أن جيلنا كان يَدرس الطب باللغتين العربية والفرنسية.

كانت محاضراتُه غايةً في التمام والكمال والإحاطة بالموضوع وبتفسير مظاهر المرض وخلفياته، وكان دقيقًا في كلِّ جملةٍ يقولها، وفيما بعد في كلِّ فحصٍ يقوم به لأيِّ مريضٍ في المستشفى حينما صرنا نزور مستشفى "الغرباء" لتطبيق معلوماتنا النظرية على المرضى.

كان معروفًا عنه أنه كان في غاية الجدِّ والالتزام بالمادة الدراسية. نَدَرَ جدًّا أنْ رأيناه يبتسم، ومع ذلك فقد كان في غاية اللطف والهدوء. كان، مثل العديد من أطباء وأساتذة تلك الأيام، يترك مسافةً أو فراغًا، غير مرئي ولكنه ملموسٌ، ما بين الأستاذ والطالب. وكان هذا هو حال تلك الأيام وتلك الأجيال المتعاقبة.

ومع أنَّ صلاتِهِ مع الطلاب كانت محدودةً ومقتصرةً على الدروس النظرية والعملية، فقد حازَ احترامَ كلِّ الطلاب الذين دَرَسوا على يديه ومحبتَهم وتقديرَهم حتى آخر أيام الدراسة وفيما بعدها.

ومن ذكرياتي عن الأستاذ سبح أنه دعاني مرةً إلى مجمع اللغة العربية، وكان يَعْلَم أنني مهتمٌ بالموسيقى. سألني: هل أنتَ راغبٌ في ترجمة التعابير الموسيقية إلى العربية؟ فأجبت بالإيجاب، وهكذا بدأتُ بمراجعة المصطلحات الموسيقية والعودة إلى القواميس الأجنبية، ثم نشرها في مجلة المجمع.

كان كلما تأخرتُ قليلًا في تقديم المزيد من تلك المصطلحات يتصل بي هاتفيًّا ويؤكد

ضرورةَ الإسراع، فأبادر إلى تقديم المزيد.

في صبيحة يوم خميس ذهبَ إلى المجمع، وإذا به يصاب بجلطةٍ قلبية، فيبادر السائق إلى نقله إلى مستشفى الشامي، حيث وُضع في قسم العناية المشددة. كان همُّه ينحصر في أعمال المجمع واجتماعاته ومقرراته، وكان الأطباء المشرفون يَرجونه أن يتركَ كلَّ تلك المشاغل حتى يَبرأ ويَشفى، ولكنه كان مصمِّمًا على تكملةِ واجباتِهِ المجمعية، كأنه كان يشعر بقرب أجله.

زرتُه صباحَ يوم الجمعة لأطمئنَّ على صحته، وكان الأطباءُ قد وضعوا له قناعَ الأوكسجين لتحسين وضعه. قال له أحد الأطباء المشرفين: هذا هو الدكتور فرعون، هل تذكره؟ سارع مجيبًا: بالتأكيد، ثم اتجه نحوي قائلًا وبحزم: هل أنهيتَ كلَّ فصول القاموس أم لا؟ كان اهتمامه ينصب على أعمال المجمع الموكلة إليه.. ثم تابع قائلًا لي: أرجو أن تسلِّم لي على الدكتور قنواتي وتعتذر منه لأنني لم أستطع أن أزوره كما هي العادة يوم الخميس! فأكدت له أنني سأفعل.

وتمامًا مثل جدي، توفي الدكتور حسني سبح في اليوم التالي، وخسرت البلادُ بموته واحدًا من ألمع وأفضل الأطباء والأساتذة.

لا بدّ لي، ومن قبيل العرفان بالجميل وكشف بعض أسرار المهنة الطبية، من أن أروي حادثةً صارت معي في السبعينيات: مرضتُ فجأةً بألمٍ شديد في معدتي مع أقياءٍ متكرِّرة ومؤلمة. رجوتُ طبيبًا زميلًا من الجيل الجديد ليعودني ففعل، ووصفَ لي العديدَ من الأدوية المتباينة الأسماء والتأثيرات. تناولتُها حسب تعليماته دون أن أتحسَّن ودون أن تَخِفَّ الأقياء المعندة. عادني زميلٌ ثانٍ ووصفَ لي المزيد من الأدوية، ولكن دون جدوى. تذكَّرت في تلك

اللحظات اليائسة الأستاذ سبح، أستاذ الأمراض الداخلية أيام الدراسة، ورجوتُ زوجتي فدعته لزيارتي. حضر دون أي إبطاء. فَحَصني فحصًا عامًّا شاملًا ثم أمر زوجتي أن تُوقِف كلَّ تلك الأدوية المعقَّدة، ووَصَفَ دواءً واحدًا بسيطًا، وطلب منها أن تقوم بإطعامي طعامًا خفيفًا، وهكذا كان.

وفي صباح اليوم التالي نهضتُ وذهبتُ إلى عملي في المستشفى وقد شعرت بأنني قد وُلدت من جديد. قد يتساءل الكثيرون: كيف حدث هذا؟ وكيف شُفيت بدواءٍ واحدٍ بسيطٍ بعدما أخفقت كلُّ تلك المعالجات المعقدة في تحسين وضعي الصحي؟ الجواب بسيط: الطبيب البارع هو الذي يُحْسِن تشخيصَ المرض ومعرفة المريض ثم يصف الدواءَ المناسب، فإذا كانت تلك الخطواتُ صحيحةً شُفي المريض، والعكس بالعكس.

من الوفاء ذكر أن الأستاذ سبح قام بتأليف العديد من أفضل الكتب الطبية لطلاب الطب، وبنشر العديد من الأبحاث اللغوية في (مجلة مجمع اللغة العربية)، وكان نصيرًا لتحديث لغة الضاد لتواكب التقدم العلمي وتسايره، إضافة إلى نشاطاته الاجتماعية والوطنية وعمله الدؤوب في رئاسة جمعية المواساة التي أسست مستشفى المواساة بدمشق.

أرجو أن تشجِّع هذه الذكريات أجيالَ الأطباء الجدد أن يَنهجوا منهجه، وأن يَسلكوا مسلكه لكي تتقدّم بلادنا وينتشر العلم في الطب وفي العلوم الأخرى كافة، وتستقيم لغتنا العربية، فلا خير في بلاد لا تكرِّم علماءها ولا تقدّر لغتَها وتتقنها.

الأحد ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٧ السادسة والنصف مساء.

آثاره

أولًا: الكتب

١. علم الأمراض الباطنة

يقع الكتاب في سبعة أجزاء، طُبعت خلال أكثر من عشرين سنة:

الجزء الأول، **أمراض الجملة العصبية**، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٣٥م.

الجزء الثاني، **الأمراض الإنتانية والطفيلية**، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٣٦م.

الجزء الثالث، **أمراض جهاز التنفس**، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٣٧م.

الجزء الرابع، **أمراض جهاز الهضم**، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٤٠م.

الجزء الخامس، **أمراض جهاز الدوران**، مطبعة الجامعة السورية.

الجزء السادس، **أمراض جهاز البول والدم**، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٤٨م.

الجزء السابع، **أمراض الغدد الصمّ والتغذية والتسممات**، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٦م.

جاء في مقدمة الجزء الأول: "... وبعد فإن أمرين اثنين حَمَلاني على تأليف هذا الكتاب: أولهما الحاجة الماسّة التي لَـمَستها بعدما عُهد إليّ بتدريس علم الأمراض الباطنة منذ سنتين (أي منذ ١٩٣٣م)، وأمراض الجملة العصبية منذ ستِّ سنوات (أي منذ ١٩٢٩م)... وثانيهما خلوّ المكتبة العربية من مثل هذا الكتاب، ليكون مرجعًا للطبيب حين الحاجة".

وفي مقدمة الجزء الأخير: "إني بإقدامي على طبع هذا الجزء السابع والأخير من سلسلة

علم الأمراض الباطنة وإخراجه إلى حيز الوجود، أفي بوعدٍ سبق لي أن قطعته عام ١٩٣٥ عندما أصدرت الحلقة الأولى من السلسلة، ذاك الوعد الذي طالما طالبني بإنجازه طلاب كلية الطب في الأمس وزملائي اليوم. وعلى ذلك فقد انقضى بين الوعد وتحقيقه اثنتان وعشرون سنة، تحكّمتْ في خلالها عوامل عدة لم يكن بالإمكان اجتناب أثرها.".

وإضافةً إلى ما تميَّز به الكتاب من الدقة والتسلسل الواضح والإحاطة بكل تفاصيل الأشكال المَرَضية وآلياتها، فقد نَهَجَ الأستاذ سبح في تأليفه منهجًا وسطًا؛ وذلك بالابتعاد عن التطويل المملّ والاختصار المُخِلّ، وبانتقاء الألفاظ والمصطلحات التي تتلاءم وروح العصر، وباقتباس أجدّ الأبحاث وأحدثها مما وصل إليه اطلاعه من المصادر المختلفة في شتى اللغات الأجنبية، مع الإشارة إلى المصادر المأخوذة عنها في آخر كلِّ باب من أبواب الكتاب.

وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ مرشد خاطر قرَّظ الجزء السادس من هذا الكتاب بكلمة ختمها بقوله: "ولا نغالي إذا قلنا إن هذه المؤلَّفات تحفةٌ ثمينة، بل قلادةٌ نفيسةٌ في جِيدِ لغةِ الضاد".

٢. **فلسفة الطب أو (علم الأمراض العام)**، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٣٩.

زادت صفحات هذا الكتاب على الألف، وقد كُتب بلغة عربية فصيحة تدعو للإعجاب حتى ممن يَظنّ أنه يجيد لغة الضاد. وفي نهاية الكتاب جدول تضمن واحدًا وثمانين خطأً مطبعيًّا وإلى جانب كلٍّ منها صوابها، فتأكد لي أن الأستاذ سبح قرأ الكتاب قراءةً مُمحّصة، فاكتشفَ هذه الأخطاء وصحّحها وأثبتها في جدول الخطأ والصواب.

٣. **موجز علم الأمراض الباطنة**، حسني سبح وبشير العظمة، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٤٦.

يتألف هذا الكتاب من جزأين؛ يقع الأول منهما في أكثر من ألفٍ ومئةِ صفحة، وهو مخصصٌ للأمراض الإنتانية والطفيلية، وكَتَبَ الأستاذُ مرشد خاطر تقديمًا له.

أما الجزء الثاني، فمن المؤسف أنني لم أعثر على نسخة منه.

٤. **موجز مبحث الأعراض والتشخيص** (لطلاب السنتين الأولى والثانية من شعبة الطب)، الطبعة الأولى ١٩٣٣، الطبعة الثالثة ١٩٤٥.

ومع أن هذا الكتاب الرائع موسوم بأنه "موجز"، إلا أنه يعطي معلوماتٍ وافيةً وكافيةً للخطوات الأولى في حياة مسيرة طالب الطب.

يشتمل هذا الكتاب على ثمانية أبواب تبحث في: الأمراض وفحص المرضى، وجهاز التنفس، وجهاز الدوران، والجملة المولّدة للدم، وجهاز الهضم، وأمراض الجملة العصبية، وأمراض الجهاز البولي، وأمراض جهاز التناسل.

٥. **موجز مبادئ علم الأمراض**، الطبعة الأولى ١٩٣٤، الطبعة الثانية ١٩٣٧.

وُضع هذا الكتاب لطالبات القبالة والتمريض ولطلاب أمراض الأسنان، وهو يتحدَّث عن علم الأمراض، وعن الأسباب الداخلية، وعن ارتكاس البدن نحو الأسباب المُمْرضة.

ثانيًا: المقالات

أ. في مجلة المجمع العلمي العربي

١. كلمة الأستاذ الدكتور حسني سبح في حفل استقباله عضوًا عاملًا في المجمع، المجلد ٢١، ١٩٤٦م.

٢. تقريظ كتاب (كيف تغلَّب الإنسان على الألم)، المجلد ٢٢، ١٩٤٧م.

٣. كلمة الدكتور حسني سبح في حفل استقبال الدكتور صلاح الدين الكواكبي عضوًا عاملًا في المجمع، المجلد ٢٩، ١٩٥٤م.

٤. تقريظ كتاب (علم السموم)، المجلد ٣٠، ١٩٥٥م.

٥. ستة مقالات بعنوان: (ما سمعتُ وما رأيت في بلاد السوفييت)، المجلدات ٣١ – ٣٣.

٦. أكثر من خمسين مقالًا بعنوان: (نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات لكليرفيل)، المجلدات ٣٤ – ٥٧.

٧. نقد وتعريف بكتاب (القاموس التشريحي)، تأليف الدكتور أنطون شاللر، وعصام حسن قلَّا، المجلد ٤٣.

٨. كلمة الدكتور حسني سبح بمناسبة انقضاء خمسين سنة على تأسيس المجمع بعنوان: (مجمعنا بعد نصف قرن من تأسيسه)، المجلد ٤٤.

٩. كلمة الدكتور حسني سبح في الجلسة التي عقدت لاستقبال الأستاذ وجيه السمان عضوًا عاملًا في المجمع، المجلد ٤٤.

١٠. كلمة الدكتور حسني سبح في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة (الدورة ٣٦)، بعنوان: (متى تدخل المصطلحات العلمية في حيّز الاستعمال)، المجلد ٤٥.

١١. كلمة الدكتور حسني سبح في حفل تأبين الدكتور طه حسين، بعنوان: (البصير ببصيرته)، المجلد ٤٩.

١٢. خطاب الدكتور حسني سبح في الاحتفالات التي أقامها مجمع اللغة العربية بدمشق تخليدًا لذكرى رئيسه الأول الأستاذ محمد كرد علي، المجلد ٥٢.

١٣. بحث للدكتور حسني سبح ألقاه بمناسبة العيد الخمسيني لتأسيس مجمع اللغة العربية في القاهرة بعنوان: (المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي)، المجلد ٥٩.

١٤. مقال للدكتور حسني سبح عن المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون بعنوان: (خواطر وسوانح وعِبَر في إحياء ذكرى مستشرق)، المجلد ٥٩.

١٥. كلمة الدكتور حسني سبح في مؤتمر التعريب الخامس في الأردن بعنوان (تعريب علوم الطب)، المجلد ٦٠.

ب. في مجلة المعهد الطبي العربي

١. (نظرة عامة في معالجة توسع القصبات)، آذار ١٩٢٨م.

٢. (المداواة بالأشعة فوق البنفسجية ونتائجها)، حزيران ١٩٢٨م.

٣. (المداواة بالأشعة فوق البنفسجية ونتائجها ٢)، حزيران ١٩٢٨م.

٤. كلمة الدكتور حسني في خريجي المعهد الطبي العربي، ١٩٣٠م.

٥. (تناذر ذنب الفرس المُحْدَث بآلتَي المَطّ والفتل)، بمشاركة الدكتور ترابو والدكتور أحمد الطباع، ١٩٣١م.

٦. (حادثة التهاب أعصاب عديدة في عقب الاستمصال)، ١٩٣٥م.

٧. (حادثة التهاب طحال متحوّلي عديد) بمشاركة الدكتور نجم الدين الجندي، ١٩٣٥م.

٨. (البرداء وأشكالها في دمشق)، ١٩٣٥م.

٩. (إصابتان بداء المنحرفات الفم أنكيلوستوما أو الملقوّات في دمشق) بمشاركة الدكتور نجم الدين الجندي، ١٩٣٥م.

١٠. (حادثة التهاب سادٍّ رضّي في الأجوف السفلي) بمشاركة الدكتور بشير العظمة، ١٩٣٦م.

١١. (الاستمصال الوافر في ذات السحايا الدماغية الشوكية) بمشاركة الدكتور نجم الدين الجندي، ١٩٣٦م.

١٢. (كيس دموي في الطحال - استئصال الطحال - شفاء) بمشاركة الدكتور مرشد خاطر، ١٩٣٦م.

١٣. (حادث سرطان رئوي بدئي) بمشاركة الدكتور بشير العظمة، ١٩٣٦م.

١٤. (حادثة رثية سيلانية عولجت بالمصل المضاد للمكورات السحائية) بمشاركة الدكتور جمال الفحام، ١٩٣٦م.

صور ووثائق

للأستاذ الدكتور حسني سبح

حسني سبح في صباه وفتوته

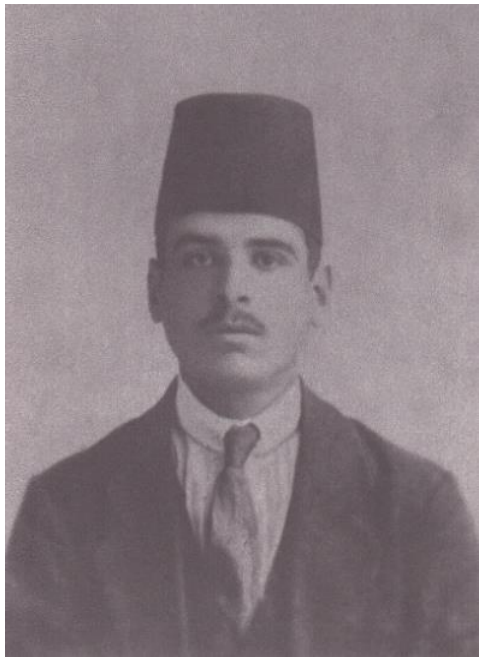

وفي شبابه

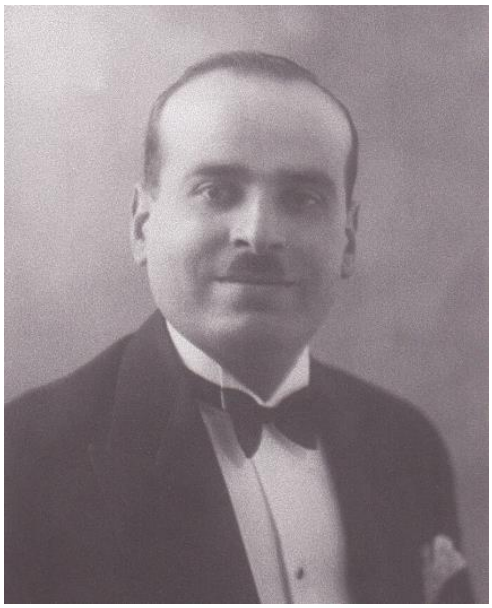

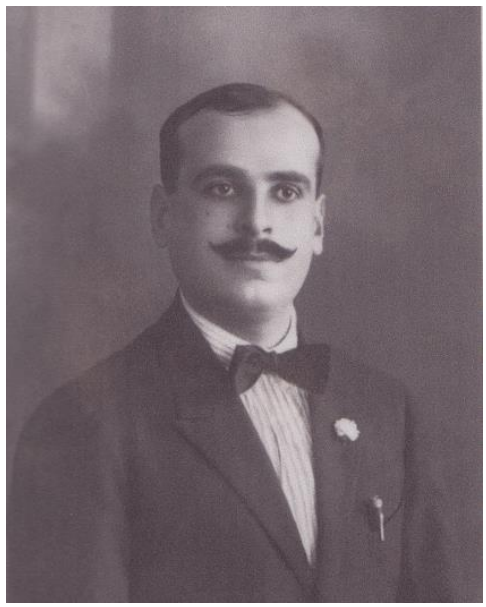

حسني سبح في كهولته

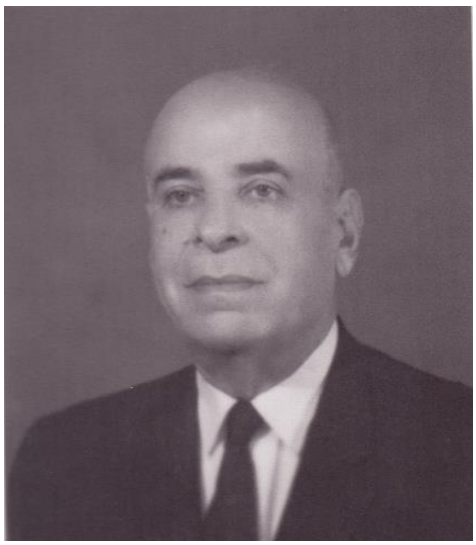

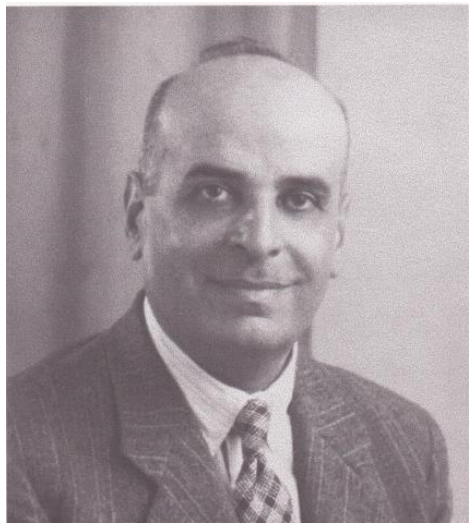

وفي أواخر حياته

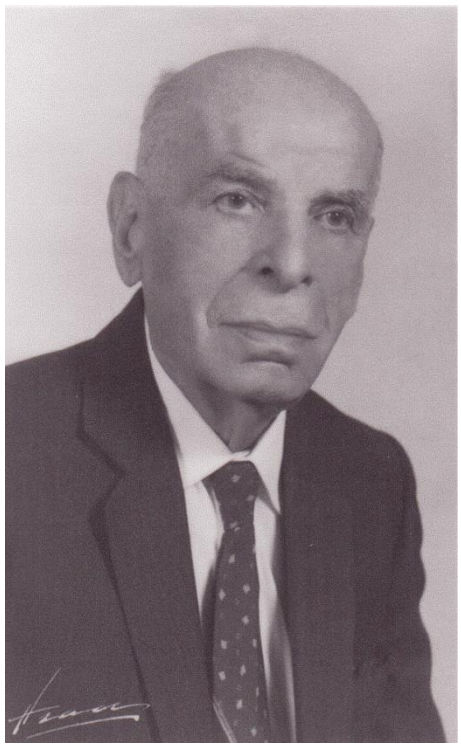

الهيئة التدريسية في كلية الطب في الجامعة السورية

مع بعض الخريجين عام ١٩٣٠

يظهر الدكتور **حسني سبح** في الصف الثاني (الخامس من اليسار)

مؤسِّسو جمعية المواساة

صورة تذكارية لمؤسسي جمعية المواساة السورية بدمشق

الصف الأول: (**من اليمين**): هاني الجلاد – الدكتور سامي قباني – رشدي البعلبكي – النائب الشيخ عبد الحميد الطباع – فارس المهايني – أمين هاشم كتبي – عبد الوهاب صمادي – مصطفي سويد.

في الوسط: (**من اليمين**): عادل الخجا (أحد مؤسسي الشركة الخماسية) – ممدوح النص – بدر الدين دياب – **الدكتور حسني سبح** (رئيس الجامعة السورية) – الرئيس سعيد الغزي – حسني هبل – مسلم سيوفي (رئيس غرفة تجارة دمشق).

الصف الخلفي: (**من اليمين**): نبيل الدردري – عبد الحميد دياب (أحد مؤسسي الشركة الخماسية) – صلاح الدين الشربجي – عبد العادي المارديني – عبد الهادي الرباط (أحد مؤسسي الشركة الخماسية) – بديع قصص – بشير رمضان (رئيس غرفة تجارة دمشق) – فؤاد خباز.

الهيئة التدريسية في كلية الطب في الجامعة السورية عام ١٩٤٦

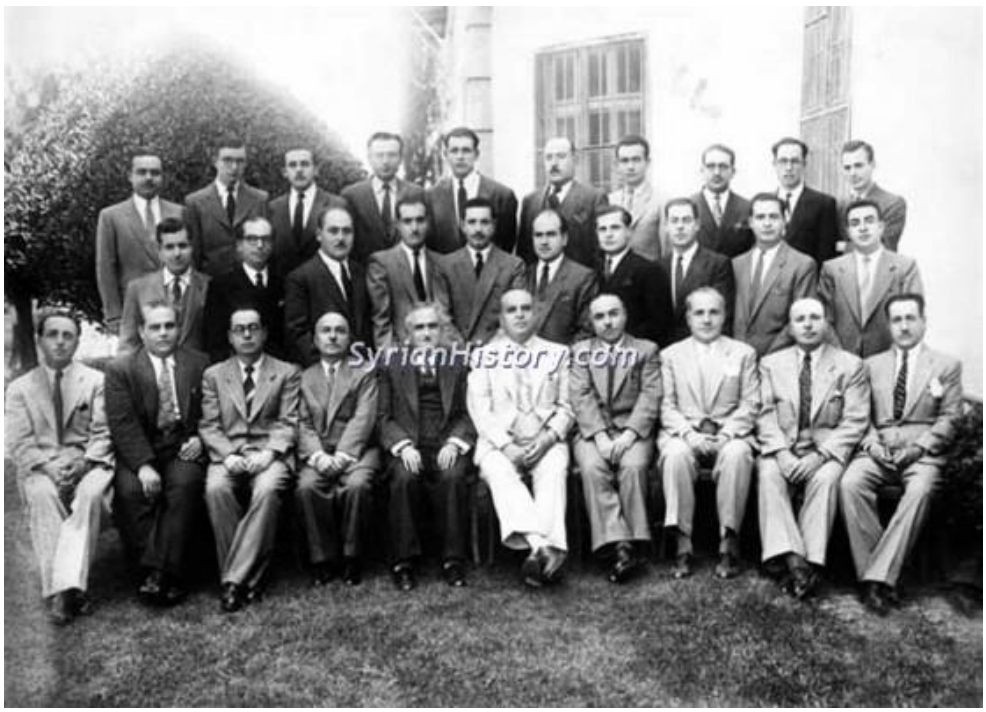

الصف الأول: (**من اليمين**): الدكتور ممدوح الصباغ – الدكتور عزت مريدن عميد الكلية (١٩٥٧–١٩٦٥) – الدكتور أنسطاس شاهين عميد الكلية (١٩٤٩–١٩٥٤) – الدكتور نظمي قباني وزير الصحة (١٩٥٣–١٩٥٤) – **الدكتور حسني سبح رئيس الجامعة** (١٩٤٣–١٩٤٩) – الدكتور مرشد خاطر وزير الصحة (١٩٥٢–١٩٥٣) – الدكتور شوكت الجراح – الدكتور شوكت القنواتي رئيس الجامعة (١٩٥٣–١٩٥٤) – الدكتور منير شورى – الدكتور بشير العظمة رئيس الوزارة عام ١٩٦٢.

الرئيس شكري القوتلي في زيارة لمنْزل دولة الرئيس محمد العايش في دير الزور عام ١٩٤٧

يقف إلى يمين الرئيس القوتلي عبد الحميد العايش، و**الدكتور حسني سبح** (رئيس الجامعة السورية)، وسعيد العايش، وعبد المجيد العايش.

ويقف إلى يسار الرئيس القوتلي مرافقه العسكري طالب الداغستاني، ورئيس مجلس النواب محمد بك العايش.

أساتذة كلية الطب مع خريجي السنة الدراسية ١٩٥٣- ١٩٥٤

الصف الأول: (من اليمين) الأساتذة: راتب كحالة - إبراهيم حقي - حنين سياج - إسماعيل عزة - بشير العظمة - نظمي بك القباني - **حسني سبح** - شوكت القنواتي - مرشد بك خاطر - عزة مريدن - مدني الخيمي - وحيد الصواف - عدنان رضا سعيد - محمود برمدا - فيصل الصباغ.

الصف الأوسط: (من اليمين): مجاهد زهور عدي - عصام رعد - بديع حمودة - أحمد زيدو - صفدي - زهير طليمات - هيام رفاعي - عبد السلام بشور - جليلة إيليا - بسام صواف - عارف اليافي - نازك نظام - عبد الوهاب حبش - إيليا داوود - عاصم زين العابدين - حكمت قوزميدس - عبد المجيد الحافظ.

الصف الأعلى: (من اليمين): مصطفى مدني - نزار شموط - يحيى محسن - أمير خطيب - شريف نابلسي - بشارة شاهين - عصام الريس - يوسف أبو عبد الله - زياد درويش - حميد مطلوب - سركيس سنجار - إبراهيم بيطار - طالب عقاد - محمد القنّي - نور الدين بكسماوي - **صادق فرعون** - محمود الحافظ - مصباح غيبة.

مسؤولون سوريون في زيارة للباكستان عام ١٩٥٧

من اليمين: الدكتور نور الدين كحالة – الدكتور حسني الصواف – عبد الله الخاني (أمين عام رئاسة الجمهورية) – **الدكتور حسني سبح** (رئيس جامعة دمشق).

الدكتور حسني سبح يستمع إلى محاضرة في الجامعة

الدكتور جمال الأتاسي يلقي محاضرةً في جامعة دمشق في سنة ١٩٧١.

الصف الأول (من اليسار): الدكتور شوكت الشطي – الدكتور موفق المالكي – الدكتور **حسني سبح**.

الصف الثاني (من اليسار): الدكتور مصون الطرقجي – الدكتور عارف الطرقجي – الدكتور **صادق فرعون**.

صورة عن شهادة الدكتوراه (لقب عليم)

إن السيد حسني ابن يحيى سبح المولود في دمشق في الثالث من شهر آذار من سنة ٣١٦ رومية قد أتم دراسته الطب في المعهد الطبي في دمشق إتمامًا جيدًا وقام في امتحاناته قيامًا حسنًا فمنح لقب **عليم** «**دوكتور**» في الطب وأصبح حائزًا لجميع حقوق هذا اللقب وامتيازاته ولذلك أعطي هذه الشهادة في ١٦ حزيران سنة ١٩٢٠ و ٢٩ رمضان سنة ١٣٣٨.

صورة عن شهادة عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق

ثبت المجمع العلمي العربي

هذا ثبت يشهد للسيد الدكتور حسني سبح بانتخابه سنة ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م عضوًا عاملًا للمجمع العلمي العربي بدمشق. وكتب في ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ هـ

٢٦ كانون الأول سنة ١٩٥٥ م

وثيقة انتساب الدكتور سبح إلى النادي العربي

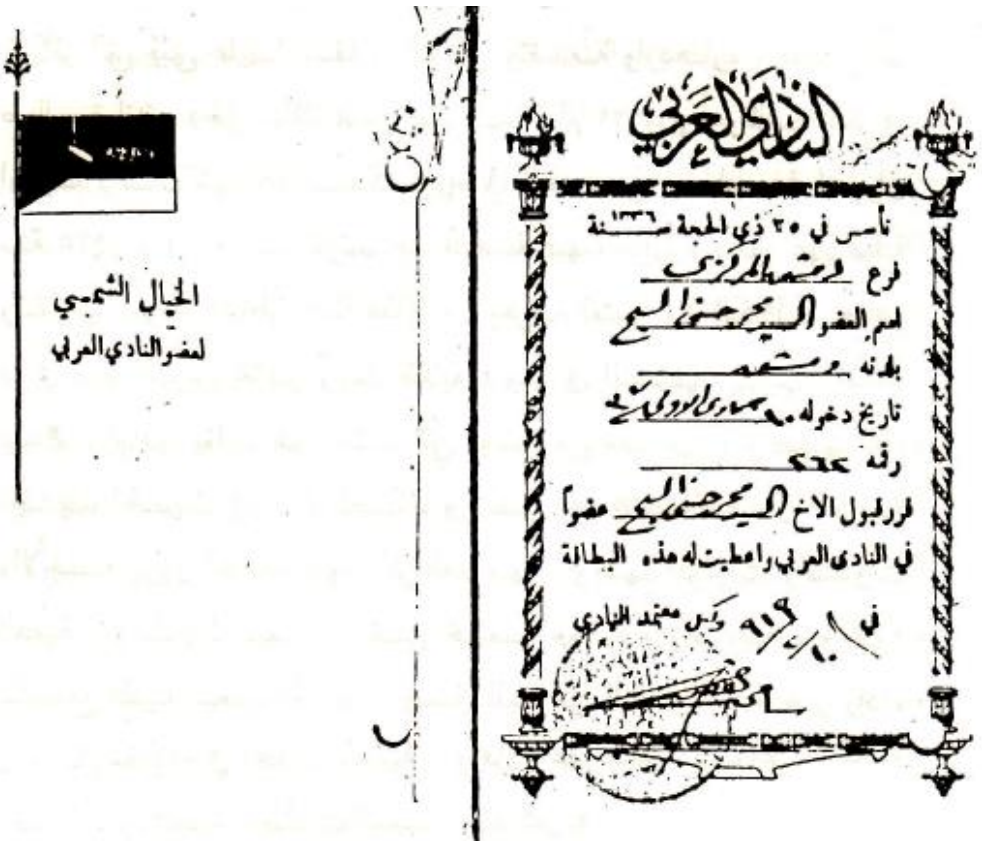

قصيدة للأستاذ أحمد عبيد مهداة إلى الدكتور حسني سبح

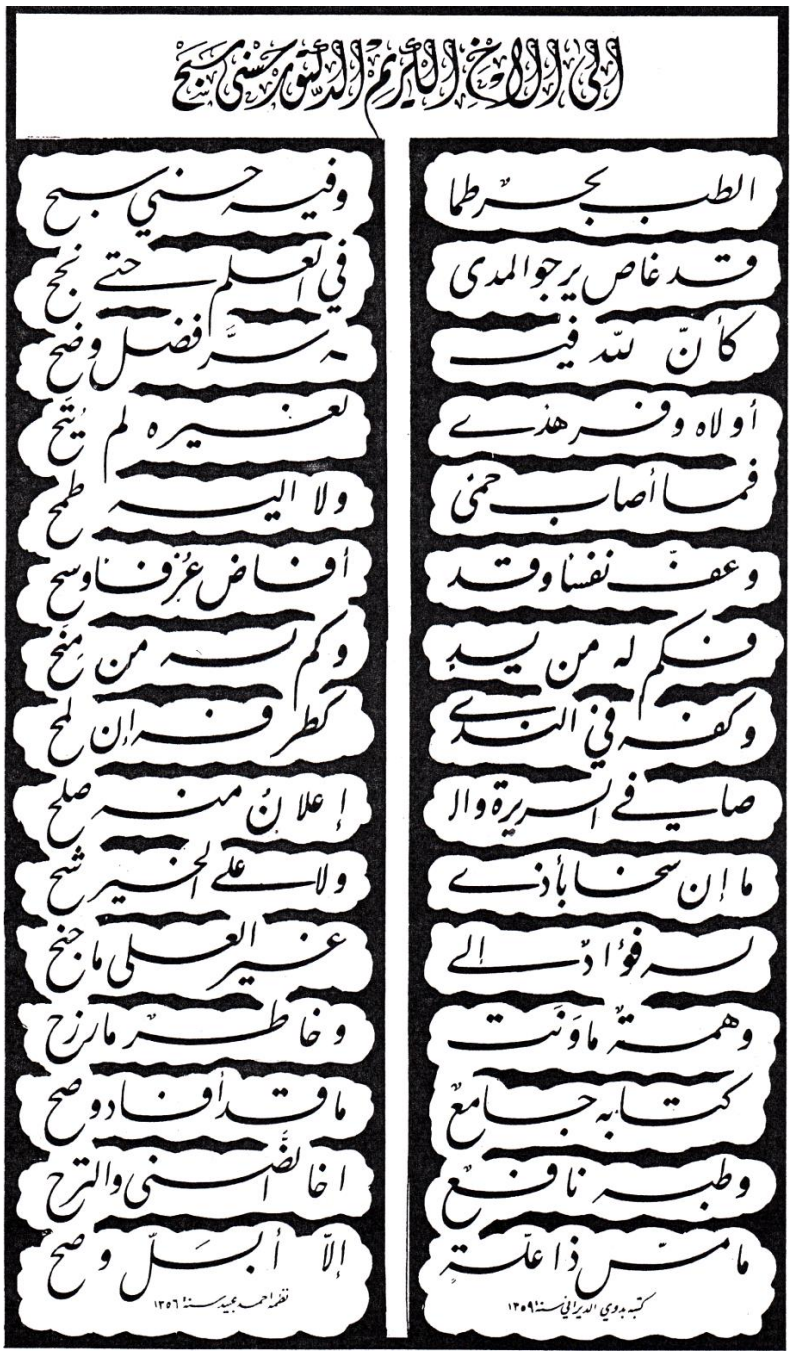

الفهرس

تصدير ٧

مقدمة ١١

حياته ٢١

- لمحة إلى حياة الدكتور حسني سبح ٢٣
- حسني سبح للدكتور عدنان تكريتي ٢٥
- زيارة لعيادة الأستاذ حسني سبح ٢٩
- كلمة للدكتور شاكر الفحام ٣٣
- فقيد المجمع للدكتور شاكر الفحام ٣٥
- كلمة للدكتور برهان العابد ٤٥
- الدكتور سبح والمعهد الطبي العربي للأستاذ سعيد الأفغاني ٥١
- ذكرياتي عن الدكتور حسني سبح ٦٠

آثاره ٦٥

أولًا: الكتب ٦٧

ثانيًا: المقالات ٧٠

أ. في مجلة المجمع العلمي العربي ٧٠

ب. في مجلة المعهد الطبي العربي ٧٢

صور ووثائق ٧٥